معاً نبني خير أمة

رسالة إلى شباب الأمة

الدكتور / راغب السرجاني

مقدمة الكتاب

جلس يشكو إليّ في ليلة مقمرة من حال ابنه الذي ناهز العشرين عاماً..

قال لي: لست أدري ماذا أفعل معه.. لقد احترت في أمره!..

قلت له: ماذا تقصد ؟ هل تشكو من انحراف ابنك بصورة من الصور؟ هل لا يصلي؟ هل لا يذاكر جيداً ؟ هل يعق والديه؟ .. هل لا يغض بصره؟.. أين المشكلة بالضبط ؟

فاجأني وهو يقول ـ بانفعال شديد ـ على العكس من ذلك تماماً يا دكتور .. أنا أشكو أن ابني شديد الالتزام بتعاليم الدين.. كل صغيرة وكبيرة يبحث أهي حلال أم حرام.. يصلي كل الصلوات تقريباً في المسجد.. طول وقته قراءة في كتب كبيرة ومراجع ضخمة .. طول النهار يتكلم عن فلسين والعراق والسودان والشيشان .. ("الولد" شايل هم أكبر كتير من سنه).. ونصحته ـ والكلام لمن يشكو لي ـ أن يقلع عن هذه الأمور ويعيش حياة الشباب !! فلا مانع أن تصلي وتصوم لكن أريدك أن تلعب وتلهو و"تفرفش".. مثل بقية شباب الجيل..

انصحني يا دكتور ـ والكلام ما زال لصديقي ـ ماذا أفعل معه ؟

أخذت نفساً عميقاً، و قلت له بعد لحظات من التفكير : نصيحتي إليك أن تجلس إلى ابنك وتتعلم منه !!.. فكم من الآباء يحتاجون إلى توجيه .. وكم من الأبناء حوت عقولهم الشابة حكمة ما استطاع آباؤهم أن يحصولها على مدار الأعوام!..

إزداد انفعال صاحبي ولم يفهم ما أقول له .. وقال: يا دكتور، إبني هذا ما زال "شاباً".. عمره عشرون سنة فقط!!

وتركته وغرقت في أفكاري.. ترى ماذا تعني كلمة الشباب في الإسلام ؟ .. ما هو دور الشباب ؟. وماذا ينتظر من جيل الشباب ؟ وإلى أين يسير شباب الأمة اليوم ؟ وغير ذلك من الأفكار والأسئلة.. فكان ذلك الكتاب !!



مشكلات الشباب

كنت في ندوة في أحد كليات جامعة القاهرة، وكانت الندوة بعنوان "مشكلات الشباب"، وآثرت قبل أن أبدأ بالمحاضرة أن أستطلع آراء الشباب حول كبرى المشكلات التي تواجههم، لكي لا أكون أنا في وادٍ وهم في وادٍ آخر، فطلبت من كل شاب أن يسجل في ورقة أهم مشكلة تواجهه في حياته، والتي لو حُلت لصار إنساناً سعيداً راضياً، واستجاب الشباب الحضور وسجلوا مشكلاتهم .. وبدأت استعرض ما يجول في خاطر الشباب حول أخطر وأهم قضاياهم .. وأخذت أجمع المشكلات المتشابهة، وأصنفها حسب الموضوع فكانت مفاجأة بالنسبة لي!!

لقد خلت قائمة المشكلات التي تواجه الشباب تقريباً من المشكلات التي كنت أنوي أن أتحدث عنها.. وإذا بالشباب الحضور فعلاً في واد، وأنا في واد آخر.. واحترت في أمري، هل أكلمهم في المشكلات التي يهتمون بها، أم في المشكلات التي ينبغي – في رأيي– أن يهتموا بها.. فبدأت كلامي باستعراض ما ذكروه عن أحوالهم.. وكانت مشكلاتهم كالآتي:

. الخوف من البطالة بعد التخرج..

. الرغبة في الزواج مع استحالته في هذا التوقيت لضعف الإمكانيات..

. الاختلاط بين الشباب والشابات وما ينتج عنه من تحريك لشهوتهم بصورة تكاد تكون دائمة..

. عدم غض البصر..

. صعوبة المناهج الدراسية والإحساس بأنها عديمة الفائدة..

. العادة السرية !!

. الفقر وقلة ذات اليد..

. الحب من طرف واحد !!

. انتشار المخدرات..

. التدخين..

. وأحدهم كانت مشكلته أنه يريد أن يشتري تليفون محمول وأبوه يرفض ذلك !!

كانت هذه معظم المشكلات التي ذكرها شباب هذه الكلية المصرية، وهم – ولا شك – يمثلون شريحة من شباب مصر .. بل ومن شباب العالم الإسلامي بصفة عامة .. بل إن هذه الشريحة قد اختيرت من الصفوة في شباب الأمة.. فهم طلاب جامعيون مثقفون دارسون، بل وعندهم حرص ظاهر على حضور ندوة ذات طابع إسلامي.. فهذه شريحة مرموقة من شرائح شباب المسلمين..

ومع كون هذه الشريحة على هذه الصورة المتميزة إلا أن المشكلات التي ذكروها جاءت على خلاف ما كنت أتمنى .. ليس لأنها ليست مشكلات حقيقية، ولكن لأنها مشكلات احتلت أولوية واضحة في حياة الشباب ، بينما غابت مشكلات أخرى هي أخطر بكثير . في ظني . من هذه المشكلات..

فعلى سبيل المثال خلت قائمة مشكلات الشباب من الآتي:.

. مشكلة عدم تطبيق شرع الله عز وجل في غالب الأقطار الإس لامية، والاعتماد على قوانين وتشريعات بشرية بحتة، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..

. مشكلة احتلال كثير من الأقطار الإسلامية، واستخدام أعتى أساليب القهر والبطش والتعذيب والقتل في هذه البلاد المحتلة، وعلى رأسها فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وأفغانستان..

. مشكلة الهجوم الإعلامي الشرس على الإسلام، والسب العلني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة والعلماء على صفحات الجرائد والمجلات والإذاعات المرئية والمسموعة والإنترنت وغيره..

. مشكلة الديون المتراكمة على غالب دول العالم الإسلامي، وبصورة يكاد يكون الخروج منها مستحيلاً..

. مشكلة الفساد الإداري وعدم الشفافية والسرقات والرشاوى والإختلاس والتزوير، مما وضع العالم الإسلامي في ذيل قائمة الدول الشريفة في الأرض، حيث لم تحصل فيه إلا دولة واحدة فقط على أكثر من خمسة من عشرة في قضايا الأخلاق الإدارية والشفافية، وهي دولة ماليزيا (حصلت على 5,3 من 10)، بينما حصلت تونس على 5 من 10، ثم بعد ذلك رسبت كل دول العالم الإسلامي قاطبة في قضايا الأخلاق والأمانة !!

(مع العلم أن إسرائيل حصلت على 6,8 من 10 في قضية الأخلاق والشفافية وعدم التزوير!)..

. مشكلة التخلف العلمي والإنفاق الضئيل على قضايا التقنية والابتكار والتطوير، فأكبر دولة عربية تنفق على الابتكارات العلمية ما لا يزيد عن 0,6 % من الدخل القومي، بينما تنفق إسرائيل 2,4 % من دخلها القومي على العلوم وتطويرها..

. مشكلة عدم وصول الإسلام إلى مناطق شاسعة من الأرض، ووجود أجيال كاملة من البشر لا يسمعون أصلاً عن الإسلام، أو يسمعون عنه كل تشويه وتزوير، مع أن المفروض على أمة الإسلام أن تصل بالخير الذي عندها إلى كل إنسان على وجه الأرض..

ثم وقفة وتساؤل!

ما الفارق الرئيسي بين المشكلات التي ظهرت في استطلاع الشباب ، وبين المشكلات التي ذكرتها منذ قليل ولم تظهر في هذا الاستطلاع؟!

إن المحلل لهذا التباين يجد أن هذا الفارق في الأساس هو أن مشكلات الشباب التي تشغلهم هي مشكلات فردية شخصية في المقام الأول، بينما المشكلات الأخرى هي مشكلات عامة تهم الأمة الإسلامية ككل..

ومن ثم نلحظ أن هذه الشريحة من شباب الأمة أوضحت لنا أمراً خطيراً جداً، وهو غياب شعور الانتماء للأمة الإسلامية عند الشباب، ولم يعد الانتماء عندهم إلا للذات فقط .. وهذه علامة تنذر بخطر شديد على أمتنا، لأن حل هذه المشاكل الضخمة التي تعصف بالأمة تحتاج إلى جهود ضخمة، وتضحيات هائلة، فإذا كانت القضية قد خرجت أصلاً من أذهان الشباب، فالأمر يحتاج إلى وقفة جادة، وإلى اهتمام كبير..

والسؤال: لماذا لا يهتم الشباب المسلم بالقضايا الكبرى لأمته ؟!

الواقع أن الشباب المسلم الآن . إلا ما رحم الله عز وجل . يعاني من بعض الأمراض الخطيرة التي تحتاج إلى علاج عاجل، واهتمام مكثف.. ومن أهم هذه الأمراض "عدم وضوح الهدف في حياته"، فهو

لا يدري دوره في الحياة، وقيمته في الأرض .. لقد اضمحل الهدف عند كثير من الشباب حتى أصبح لا يعدو أن يكون مجرد سيارة أو شقة أو غير ذلك من الأمور المادية، مع العلم أنني أدرك أن هذه الأهداف ليست بالأهداف الحرام أو التافهة، ولكن ضاعت الأهداف الكبرى .. وانقلبت هذه الأهداف البسيطة من كونها وسائل لتحقيق أهداف كبرى إلى كونها أهدافاً نهائية عند المعظم.. وهذه كارثة.. فكأن لسان حالهم يقول: "إن هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا!"

لقد أصبح معظم الشباب المسلم منشغلاً بالطعام والشراب والمسكن والألعاب والملذات والشهوات، ولا ينشغل بغير ذلك .. لقد أصيب معظم الشباب بسلبية عجيبة حتى كادت الأمة أن تشرف على الغرق في مستنقع هائل من المشاكل، ثم الشباب يشاهد ويتفرج ويراقب عن بعد، وكأن الأمر لا يعنيه من قريب ولا بعيد، مع علمه التام أنه سيكون من الغارقين مع الأمة، فالأمة أمته، والوطن وطنه، والدين دينه، والمستقبل مستقبله..

لقد دخل في روع الشباب أنهم ما زالوا في سن صغيرة لا تسمح لهم بالتفكير أصلاً في حل هذه المشكلات الصعبة، واعتبروا أن هذه الفترة من حياتهم لا تصلح إلا للعب واللهو والخروج والفسح، مع بعض لحظات الجد العابرة عند امتحان أو عمل أو موقف..

والسؤال الذي يحيرني:.. هل ما زال الشباب فعلاً صغيراً ؟!

وهل الصغير فعلاً هو الصغير في العمر ؟ .. أم أن الصغير حقيقة هو الصغير في الفكر وفي الفهم وفي الخُلق وفي الهدف وفي الطموح ؟

تعريف الطفل في الإسلام يختلف كثيراً عن تعريفات القوانين الأرضية الوضعية، وهذا الإختلاف يترتب عليه عمل كبير، فالأمم المتحدة مثلاً تعرف الطفل بأنه الذي لم يبلغ ثمانية عشر عاماً، بينما في الإسلام يكون الطفل هو الذي لم يبلغ الحلم، أو الذي لم يصل بعد إلى سن البلوغ، أي قد ينتهي الطفل من مرحلة طفولته وهو في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، فإذا وصل الطفل إلى سن البلوغ أصبح شاباً ، وذلك بكل تبعات هذه المرحلة الجديدة التي انتقل إليها .. وأهم هذه التبعات أنه أصبح مكلفاً.. بمعنى أنه أصبح مسئولاً عن كل أفعاله وأقواله وأحلامه وأمنياته .. نعم قد لا يسأله أبوه ولا أمه ولا أستاذه ولا مجتمعه لكونه في عيونهم ما زال صغيراً.. ولكن حتماً سيسأله ربه يوم القيامة عن كل أعماله بعد هذه السن الفاصلة، وبعد هذه المرحلة الفارقة في حياته.. نعم هو ما زال في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، لكن الله عز وجل – والذي خلقه ويعلم إمكانياته وقدراته – سيحاسبه عن هذه الفترة حساباً مفصلاً، وذلك لأنه يعلم سبحانه وتعالى أن الشاب في هذه المرحلة يستطيع أن يفكر بعمق، وأن يعمل بجد، وأن يجتهد بصدق..

" ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير"..

بل إن هذه الفترة من عمر الإنسان . وهي فترة الشباب . سيكون هناك سؤال خاص عنها يوم القيامة..

روى الترمذي ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ "

من هذا الحديث يتضح قيمة فترة الشباب في حياة الإنسان، ففترة الشباب . وإن كانت فترة محدودة في العمر . إلا أن الله عز وجل قد أفرد لها سؤالاً خاصاً يوم القيامة، مع أنه لو ذكر العمر وكفى لتم المعنى، لأن العمر يشمل الشباب، لكن خص الشباب بالذكر ليلفت الانتباه إلى أن هذه الفترة لها أهمية خاصة في الحياة، كما يلفت الأ نظار إلى أن الشاب . مع كونه صغيراً نسبياً . إلا أنه سيسأل يوم القيامة، وسيحاسب، ولن يُوفق إلى عبور الصراط ودخول الجنة إلا إذا وُ فق في الإجابة على الأسئلة الشاملة التي ستوجه له بخصوص كل لحظات حياته، ومنها فترة شبابه..

روى البخاري ومسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَا تِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"

والحديث السابق يوضح أنه ليس هناك استثناء في السؤال، فالكل مهما اختلف عمره أو جنسه أو عنصره أو لونه سيُسأل يوم القيامة..

من كل ما سبق يتبين أنه ليس من العقل أو الحكمة أن يقضي الشاب زهرة شبابه في اللهو والمرح وعدم تحمل المسؤولية، وهو لا شك سيحاسب على شبابه فيما أبلاه..

وخلاصة القول أن الله عز وجل - الذي خلق وكلف - يعلم أنه سبحانه وتعالى قد وضع في الشباب المؤهلات التي تمكنهم من أداء مهماتهم وواجباتهم على الوجه الأكمل، ومن ثم فالشباب قادر . بإذن الله . على حل مشكلاته ومشكلات الأمة..

وليس هذا الأمر جديداً على شباب الأمة الإسلام، فالتغيير في واقع الأمة وفي تاريخها كثيراً ما كان على يد الشباب، ونسأل الله عز وجل أن يهدي شباب الأمة إلى طريق الخير، وإلى سنن الهدى..



الشباب في الإسلام

ما أعظم مكانة الشباب في الإسلام، والمتابع لأحداث التاريخ الإسلامي يجد أن معظم حركات التغيير في تاريخ الأمة كانت على يد الشباب، وليس هذا من قبيل المصادفة، بل هي سنة مطردة، وحدث متكرر..

وراجعوا معي التاريخ الإسلامي..

عندما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. إلى من توجه برسالته ؟

من هم الذين حملهم تبعة هذا الدين ؟

من هم الذين ائتمنهم على حمل الإسلام ؟

من هم الذين اعتمد عليهم في تغيير نظام الحياة في مكة كلية .. بل في تغيير نظام الح ياة في الأرض بكاملها، وليس في زمانه فقط بل وإلى يوم القيامة ؟

من هم السابقون السابقون ؟

من هم أفضل أجيال الأرض، والذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الذي رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"

من هم الذين سيواجهون جبابرة وطغاة مكة، وطواغيت الجزيرة العربية ، ثم سيدوكون بعد ذلك حصون وقلاع فارس والروم، ويزلزلون عروش كسرى وقيصر ؟

من هم الذين سيسبحون ضد التيار في كل هذه البحار المشركة ؟

من أيها الشباب ؟!

راجعوا التاريخ، واقرءوا السيرة، واطلعوا على هذه النماذج :

*الزبير بن العوام رضي الله عنه..

حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفارس الإسلام، والبطل المغوار، والدعامة الثابتة للدعوة الإسلامية..

كم كان يبلغ من العمر وقت إسلامه ؟

إنه كان في الخامسة عشرة من عمره !!

أي أنه لو كان في زماننا لكن في الصف الثالث الإعدادي أو الأول الثانوي على الأكثر..

ونظرة إلى شبابنا في الإعدادية!..

هل طالب الإعدادية الآن يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل كما كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل ؟

لابد أن هناك خلل..

ولابد من وقفة للحساب والمراجعة..

لماذا يخلو ذهن طالب الإعدادي أو الثانوي أو حتى الجامعة من كل ما هو مفيد، ولا يبقى في ذهنه إلا بعض الأفلام الساقطة، والأغنيات الهابطة، والألعاب السخيفة ؟ لم اذا يبقى الشاب ساعات وساعات أمام شاشات التليفزيون والإنترنت والفيديو جيم، ويبقى الساعات والساعات في صالات البلياردو وعلى كورنيش النيل، ولا يصرف من وقته ساعة لدين أو لعلم أو لفكر أو لرحم أو لدعوة أو لغاية نبيلة، أو مهمة جليلة ؟

لابد من وقفة !!

*طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه..

أحد الدعامات الرئيسية لجماعة الإسلام الناشئة في مكة، وأحد كبار الدعاة إلى الله، وأحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة والمهارة والشجاعة والإقدام، وأحد أعلام الإنفاق في سبيل الله، والذي أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقب " طلحة الخير"

هذا الصحابي الجليل العظيم كان عند إسلامه في السادسة عشر من عمره !!

*سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه..

الصحابي العملاق.. أول من أراق دماً في الإسلام، والوحيد الذي فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، حيث قال له يوم أحد:

"ارم سعد، فداك أبي وأمي"، وذلك فيما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سعد بن أبي وقاص المجاب الدعوة، والميمون النقيبة، والعظيم الأثر..

كم كان عمره عند إسلامه ؟

لقد كان في السابعة عشرة من عمره !!

*الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه..

الرجل الذي يحمل اسمه ذكريا ت عظيمة هائلة لكل مسلم، فهو الذي استضاف الدعوة الإسلامية في بيته. على خطورة هذا الأمر. ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة، مع الأخذ في الاعتبار أنه من بني مخزوم، وهي القبيلة التي تتنازع لواء الشرف مع بني هاشم، وهو يستضيف الرسول الهاشمي في

بيته، ولا شك أن ذلك س يسبب له حرجاً بالغاً مع زعماء قبيلته وأقاربه، ولا ننسى أن زعيم قبيلة بني مخزوم هو أبو جهل شخصياً، وهو أعتي عتاة الإجرام والبطش في مكة، وهو فرعون هذه الأمة، ولو أدرك أن واحداً من قبيلته يستقبل في بيته الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لكانت الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ومع كل ذلك فقد قبل الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه بهذه المخاطرة، وضحى بنفسه هذه التضحية البالغة من أجل الإسلام..

كم كان يبلغ من العمر هذا البطل العظيم عند إسلامه؟!

لقد كان في السادسة عشرة من عمره !!

هل هذا معقول ؟!

نحن عندما نقرأ هذه الأسماء الخالدة.. الزبير وطلحة وسعد والأرقم رضي الله عنهم أجمعين، نعتقد أننا نتعامل مع رجال كبار جداً.. والواقع أننا فعلاً نتعامل مع رجال كبار جداً، ولكن ليسوا كباراً في السن، وإنما هم كبار في المقام وفي العقل وفي الجهد وفي الإيمان وفي العمل وفي الأخلاق .. هؤلاء الشباب كانوا رجالاً كباراً بمعنى الكلمة، وهم في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم..

*علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

وما أدراك من علي بن أبي طالب رضي الله عنه !!

إنه الطفل الذي كان في العاشرة من عمره.. فقط في العاشرة !!

وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إليه بالرسالة، ويسر بها إليه!!

سبحان الله !!

إن هذا يحمل معنى هائلاً لابد أن نقف أمامه .. وهو أن عقل هذا الطفل الصغير غير المكلف يستوعب أموراً هي من الدقة بحيث قد تخفى على عقول بعض الشيوخ.. لقد استوعب هذا الطفل فكرة الوحدانية، وفكرة النبوة والرسالة، وفكرة الوحي والملائكة، وفكرة البعث يوم القيامة، وفكرة الجنة والنار، وفكرة العمل لله، والحياة في سبيل الله، بل والموت في سبيل الله..

لقد استوعب كل ذلك وهو في العاشرة من عمره !!

وفقه هذا الطفل أيضاً في هذه السن الصغيرة سرية المرحلة، وتعلم كيف يخفي أموره عن أقرب الأقربين إليه، وكيف يتجه سراً إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، وكيف يصلي في خفاء، ويقرأ القرآن بعيداً عن أعين الناس..

إن عقل الطفل الصغير لهو أوسع من تخيلاتنا بكثير..

بعض الآباء والمدرسين والمربين يشفقون على الأولاد م ن المعلومات المكثفة، أو من الواجبات الثقيلة، فيكتفون بحشو هذا العقل ببعض القصص التافهة وأفلام الكارتون، وألعاب الكمبيوتر، وأسماء اللاعبين والفنانين والفنانات، وهم بذلك يهدرون طاقات لا حصر لها .. ويخلصون من إمكانيات عقلية هائلة عند الأطفال..

وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثالاً أوحداً للطفل النجيب في الإسلام، فالأمثلة فعلاً قد يتعذر سردها لكثرتها، فما من طفل من أطفال الصحابة إلا وله موقف ومواقف تدل على سعة إدراكه، ودقة فهمه، وجلاء بصيرته..

*زيد بن ثابت رضي الله عنه:

ترى ما هي أحلام هذا الطفل العظيم الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وكان لم يبلغ الحلم بعد، وكان صغير البدن، قليل البنية ؟

لكن . سبحان الله . مع صغر سنه، وصغر بدنه إلا أنه كان مشغولاً بأمته الإسلامية انشغالاً تاماً.. لقد سمع الطفل زيد أن جيش المسلمين يستعد للخروج إلى بدر للقاء المشركين، فتحركت الحمية لهذا الدين في قلبه الصغير الحجم، الكبير القدر، فحمل سيفه، وكان السيف أطول منه !! وذهب لينضم إلى جيش المسلمين !!

هذا الطفل الصغير . غير المكلف . كان يسعى بصدق إلى الجهاد !.. لقد استوعب عقله قضية الجهاد في سبيل الله، ولقاء الأعداء، ونصرة دين الله، و تحمل الآلام والجراح والمشقة في سبيل رفعة هذه الأمة وسيادتها..

ولكن الطفل الصغير الطموح فوجئ مفاجأة قاسية عند ذهابه لمكان تجمع الجيش، فقد استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غيره من المجاهدين، فوجد أنه صغير في السن والجسم فخاف عليه الهلكة، فرده ولم يقبلها في الجيش.

وكانت هذه مأساة حقيقية لزيد بن ثابت رضي الله عنه !!

لقد عاد إلى أمه "النوار بنت مالك" رضي الله عنها وهو يبكي من شدة الحزن!..

ووقفة مع الحدث..

لقد كان الالتحاق بجيش المسلمين أمنية ومطمحاً عند زيد بن ثابت وعند أطفال وشباب المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.. لأن غاية الجيش كانت واضحة، ومهمته نبيلة، والتعامل فيه بين القائد والجنود على أساس التقوى والإسلام..

أما عندما فرُغت الجيوش من قيمتها، وضُ يعت أهدافها، واضمحلت غ اياتها، وساءت فيها معاملة القواد لجنوده م، فإن الحال تغير أقصى درجات التغيير، حتى رأينا شباب اليوم . وهو معذور . يقيم الأفراح، ويتلقى التهنئة، إذا أفلح في أخذ الإعفاء من الجيش، ولو عن طريق الكذب أو الوساطة أو الرشوة أو غير ذلك من الأمور غير المشروعة، بل قد لا يستنكر الشاب أن يذكر أمام القاصي والداني أنه قريب الضابط فلان أو الوزير فلان، وأنه قد توسط له ليُعفى من الجهاد والجندية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

ونعود إلى الطفل العملاق زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد عاد إلى أمه يبكي ويقول : لقد منعني رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد..

لكن الأم العاقلة المربية الفاهمة لدينها المدركة لمواهب ابنه ا، قالت له : لا تحزن، تستطيع أن تخدم الإسلام بصورة أخرى، إن لم يكن بالجهاد بالسيف، فليكن بالجهاد باللسان والقلم !!

لقد لفتت الأم الداعية "النوار بنت مالك" رضي الله عنها نظر ابنها . كما لفتت أنظارنا . إلى أن مجالات العمل لله واسعة ومتشعبة، وأن إمكانيات البشر مختلفة ومتفاوتة، وأن الذي لا يستطيع أن يؤدي في مجال يستطيع أن يبدع في مجال آخر.. وكل ميسر لما خلق له..

قالت الأم الذكية لابنها المتحمس: أنت تتقن القراءة والكتابة – وهذا نادر في ذلك الزمن . وأنت تحفظ كثيراً من سور القرآن الكريم حفظاً جيداً، فلنذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنرى كيف يمكن أن نوظف هذه الطاقات لخدمة الإسلام والمسلمين..

يالروعة التفكير، وصدق الاجتهاد، وعمق النظرة !!

وذهبوا بالفعل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض الرجال من قبيلتهم، وهم جميعاً يرجون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يق بل زيد بن ثابت رضي الله عنه في عمل يخدم الإسلام والمسلمين..

قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يا نبي الله، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك، وهو فوق ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة، وهو يريد أن يتقر ب بذلك إليك، وأن يلزمك، فاسمع منه إن شئت"..

فاستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد رضي الله عنه ، واكتشف مهارته وقدرته على الحفظ، وقدر قيمة المهارة التي يتقنها زيد رضي الله عنه فوق الحفظ وهي مهارة الكتابة والقراءة، ولم يستصغر سنه، أو يقلل من شأنه، بل ط لب منه طلباً لا يطلب الآن إلا ممن أمضى مشواراً طويلاً في العلم والتعليم والدراسات.. لقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإني لا آمنهم على ما أقول"

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة أ جنبية هامة في ذلك الوقت، ولأغراض سياسية هامة قد تؤثر تماماً على سير العلاقات الدبلوماسية والحربية بين أمة الإسلام واليهود.. هذا مع كون زيد بن ثابت رضي الله عنه في الثالثة عشرة من عمره!

وقد صدق حدس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن زيد اً رضي الله عنه أكب على دراسة اللغة العبرية فأتقنها في وقت يسير جداً، وصار يتكلمها ويكتبها كأهلها، ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يتعلم أيضاً اللغة السريانية، وكانت من اللغات الدارجة في ذلك الزمن، فتعلمها زيد

رضي الله عنه، وصار بذلك ترجمان الدولة الإسلامية، والشريك الدائم في أي مفاوضات أو مراسلات بين القبائل الأجنبية والدولة الإسلامية..

كل هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره !!

هل رأيتم إمكانيات الشباب ؟!

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اطمأن إلى إتقانه أكثر وأكثر، فأمنه على ما هو أخطر من المراسلات والعلاقات الدبلوماسية، لقد أمنه صلى الله عليه وسلم على وحي السماء، فطلب منه أن يكتب القرآن، فكان إذا نزلت عليه مجموعة من الآيات طلب زيداً رضي الله عنه، وقال له : يا زيد، اكتب، فيكتب زيد رضي الله عنه، فصار بذلك من كتبة الوحي..

ومرت الأيام، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشعر المسلمون بالمأزق الخطير الذي قد يتعرضون له إذا فقدوا آية أو آيات من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن مجموعاً في كتاب واحد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُخشى على الأجيال القادمة أن تفقد جزءاً من القرآن، أو على الأقل تفقد ترتيبه، وهنا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في كتاب واحد، وبعد مناقشات ومحاورات قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفكرة، ولكن تبقى مشكلة خطيرة، فعلى أكتاف من ستلقى هذه التبعة الضخمة، ولم يجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من زيد بن ثابت رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة الخطيرة جداً، فهو إلى جانب كونه يتقن القراءة والكتابة، فهو كان من كتبة الوحي، ويعلم دقائقه، ومتى نزلت الآيات، وكيف نزلت، ولأي سبب نزلت، وترتيب نزولها، وكيفية جمعها مع الآيات السابقة واللاحقة..

وهكذا كلف زيد بن ثابت بهذه المهمة الشاقة جداً، مع كونه وقت جمع القرآن كان في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين فقط من عمره، أي أنه لو كان في زماننا فإنه لن يكون قد انتهى بعد من دراسته الجامعية، ومع ذلك فقد وضعت على أكتافه مهمة لا توضع إلا على أكتاف الأساتذة والمعلمين البارعين المتميزين، وهذا في وجود العدد الضخم من شيوخ الصحابة والسابقين إلى الإسلام.. ولكنه قُدِّم عليهم جميعاً بكفاءته ومهارته وقدراته الهائلة مع كونه شاباً صغيراً..

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه:..

"والله، لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن"

ومع ذلك نجح الشاب الصغير زيد بن ثابت رضي الله عنه في المهمة الجليلة التي تحتاج جيلاً كاملاً من العلماء..

وحقاً.. ما أعظم إمكانيات الشباب!!..

*معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما :

وهذا الشابان الصغيران جداً كان لهم ا من الأثر ما لا يتخيل ه أحد أو يستوعبه فالأول في الرابعة عشرة من عمره والثاني في الثالثة عشرة من عمره، ومع ذلك فهما يسارعان بالانضمام إلى جيش المسلمين المتجه إلى بدر، وعلى عكس زيد بن ثابت رضي الله عنه فإنه كان يبدو عليهما كبر السن نسبياً، وقوة الجسد مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلهما في الجيش المقاتل.

ومع كونهما في هذه السن الصغيرة لكن سبحان الله كان طموحهما أكبر بكثير من طموح كثير من الرجال أو الشيوخ!..

وأترك عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كما جاء في البخاري يصور لنا موقفاً عجيباً لهذين الشابين العملاقين حقاً!

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

"إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا على يمني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما"..

وهما معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، ومعوذ بن عفراء رضي الله عنهما..

فعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتعجب من وجود هذين الغلامين الصغيرين في معركة خطيرة كبدر، ولم يشعر بالأمان لأنه لو هجم عليه أحد المشركين فلن يجد . في اعتقاده . مساندة أو مساعدة ممن حوله لصغر سنهما..

ثم يكمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فيقول متعجباً:

"إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل"

وكان هذا الذي تكلم هو معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما، وهو من الأنصار ، فلم يكن قد رأى أبا جهل قبل ذلك، ولفت نظر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هذا السؤال عن قائد جيش المشركين، وجبار مكة، وفرعون هذه الأمة، فسأل الغلام الحدث: "ياابن أخي، فما تصنع به ؟"

فرد الغلام الصغير رداً أذهل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه!..

قال معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما : " أُخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا!!"

يا الله !!

كم هو خالد هذا الموقف !!

الغلام الصغير الذي يعيش في المدينة المنورة، سمع أن رجلاً يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة على بعد حوالي خمسمائة كيلومتر من بلده، فتحركت الحمية في قلبه، والغيرة على حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرر أن يفعل شيئاً يدافع به عن معتقداته ومقدساته، وجاءت الفرصة في بدر عندما جاء الله عز وجل بأبي جهل إلى بدر ، ليسهل على الغلام الصغير أن يلتقي بأبي جهل .. فقرر أن يقتله بنفسه !!

إنه أقسم قسماً مغلظاً إنه لو رأى أبو جهل فلن يتركه حتى يموت واحد منهما !!

إنه لم يجعل حلمه أن يشارك فقط في بدر، ويقوم بمهمة التمثيل المشرف وكفى !!

ولم يكتف بأن يحلم بقتل أحد المشركين وكفى !!

ولكن جعل حلم مستقبله، وقضية حياته، وهدف عمره أن يقتل هذا الطاغية، وإن كان الثمن أن يموت هو في سبيل الله !!

يا سبحان الله !!

كان من الممكن ببساطة . ولن يلومه أحد . ل و قال في نفسه أقاتل رجلاً بسيطاً عادياً من المشركين، وأترك مهمة قتل هذا الزعيم الكبير لأحد صناديد الجيش الإسلامي ، أو أحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة في القتال.. لكن سبحان الله، كانت همته كالقمم الشامخة..

ولم يكن هذا موقفاً عادياً .. بل كان موقفاً عجيباً حقاً.. حتى إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "فتعجبت لذلك!"..

ولكن عجب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لم يتوقف عند هذا الحد، فمعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما لم يكن حالة فردية شاذة في الجيش المسلم، إنما كان له قرين مسلم صالح في مثل سنه أو أصغر، يرافسه في نفس القضية..

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

"وغمزني الآخر (معوذ بن عفراء رضي الله عنهما)، فقال لي مثلها"

ثم قال:

"فلما أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه"

ورأى البطلان الصغيران الرجل الذي أخ برا أنه يسب رس‌ول الله صلى الله عليه وسلم، فغل ي الدم في عروقهما، وتأكدت عزيمتها على إنفاذ المهمة الجليلة التي طالما راودت أحلامهما وأفكارهما..

وأترك الكلام لمعاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما يصور الموقف الرائع، وذلك كما جاء في رواية ابن إسحاق، وفي طبقات ابن سعد رحمها الله..

يقول معاذ:

"سمعت القوم . وأبو جهل في مثل الحرجة (أي الشجر الملتف) . وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه"..

لقد جاء أبو جهل الزعيم القرشي الكبير في مثل غابة من الرجال الأقوياء الأشداء يحمونه ويدافعون عنه.. إنه رأس الكفر، وقائد الجيش، ولا شك أن أقوى كتائب مكة ستقوم بحمايته، وهم يتنادون فيما بينهم: احذروا من قتل الزعيم الكبير، يقولون: أبو الحكم (أبو جهل) لا يخلص إليه، أي لا يصل إليه أحد من المسلمين..

ومع هذه الحماية المكثفة، والإحاطة المركزة، فإن كل ذلك لم يمنع معاذاً رضي الله عنه من أن يعزم على استكمال مهمته، وعلى تحقيق حلم حياته..

يقول معاذ:

"فلما سمعتها ـ أي كلم ة "أبو الحكم لا يخلص إليه " ـ جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، أي أطارت نصف ساقه تماماً !!

سبحان الله !!

ضربة واحدة بالسيف من ساعد هذا الفتى الصغير تبتر ساقاً لرجل في لحظة واحدة !!

إسألوا الأطباء الذي يقومون بعمليات البتر عن صعوبة ذلك !!

واسألوا الفرسان الذين خاضوا المعارك الهائلة عن تعذر ذلك !!

عن أي شئ نتحدث يا شباب أمة الإسلام ؟!

هل نتحدث عن الفروسية في أعلى درجاتها.. أم عن الشجاعة في أبهى صورها.. أم عن المهارة القتالية في أعظم فنونها .. أم عن قوة الساعد .. أم عن عمق النظرة .. أم عن صدق الجهاد ، وإخلاص النية، وقوة الإرادة.. أم قبل ذلك وفوق ذلك نتحدث عن توفيق رب العالمين للمجاهدين في سبيله..

"والذين جاهدوا فينا، لنهدينهم سبلنا"..

هذا يا شباب الأمة شاب في الرابعة عشر من عمره !!

قطع ساق أبي جهل، وهو في وسط الحماية الكافرة المكثفة بضربة واحدة !!

لقد حقق حلمه، وشفى صدره، وثأر لحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن هل كل ذلك بلا ثمن ؟! مستحيل !! لابد من دماء.. فشجرة العزة لا تنمو إلا بدماء المجاهدين والشهداء..

يقول معاذ رضي الله عنه:

"وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل ـ وكان ما زال مشركاً في موقعة بدر ـ على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي"..

لقد فصلت يد الغلام الصغير عن جسده، ولم تعد معلقة إلا بجلدة !!

لقد فقد ذراعه في سبيل الله..

ولكت أتراه قد أحبط ؟! أتراه قد ندم ؟! أتراه قد شعر أنه تهور ؟! أتراه تمنى أن لو عاش سالماً في المدينة بعيداً عن الجروح والآلام والإعاقة ؟!

أبداً يا شباب الإسلام..

إن كل ذلك لم يراوده مطلقاً..

إنما كان الذي يشغله في هذه اللحظات هو أن يستكمل مسيرة الجهاد في سبيل ا لله.. فما زال هناك أعداء يحاربون، ولابد أن يدافع المخلصون، ولو كانوا بيد واحدة !!

يقول معاذ رضي الله عنه:

"فلقد قاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها.."

لقد فصل يده تماماً عن جسده ليكمل القتال بحرية !!

سبحانك يا ربي !!

وأين صاحبه الذي كان يتنافس معه على قتل الطاغية الأكبر ؟

أين معوذ بن عفراء رضي الله عنهما ؟

استمعوا إلى معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما يحكي عن صاحبه:

"ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء رضي الله عنهما ، فضربه حتى أثبته، فتركه و به رمق"

أي أن معوذ بن عفراء رضي الله عنهما أيضاً حقق أمنيته، ووصل بسيفه إلى أبي جهل وهو في وسط كتيبته وحراسه، واستطاع أن يضربه ضربة أوقعته قعيداً مشلولاً على الأرض، ولكنه ما زال به رمق، وكما نعلم سيأتي بعد ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليكمل قتل أبي جهل..

وهكذا تعادل البطلان الصغيران في المباراة التي تنافسا فيها !!

انظروا إلى التنافس على أي شئ يكون !!

وذهب كلاهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل واحد منهما : أنا قتلت أبا جهل يا رسول الله..

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في البخاري ومسلم:

"هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا، فنظر في السيفين وقال: "كلاكما قتله !"

لقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعادل بين المجاهدين الصغيرين..

وسبحان الله !!

هل انتهت قصة الغلامين الحدثين ؟!

لا يا شباب الأمة !!

ما زال في القصة فصل أخير..

لقد رأينا أ ن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما قد فقد يده ثمناً لجهاده وصدق عزيمته..

فماذا دفع معاذ بن عفراء رضي الله عنهما ؟

لقد دفع روحه بكاملها !!

لقد استكمل الشاب الصغير جداً . الذي يبلغ الثالثة عشرة من عمره . مسيرة الجهاد بعد أن ساهم مساهمة جادة في قتل أبي ج هل، فلم يكتف بهذا العمل المجيد، وهذا الأثر الخالد، بل قاتل هنا وهناك، حتى لقي الشهادة في سبيل الله، وهو في هذه السن المبكرة !!

هذا هو المجد يا شباب الأمة..

هذا هو التنافس الحقيقي..

"وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"..

يحزن المرء كثيراً عندما يشاهد كثيراً من الش باب لا يتنافسون إلا في مجالات التشجيع لفريق كروي، والتعصب لأحد الأندية !! وليت التنافس يكون شريفاً، بل يصل كثيراً إلى التصارع والتشاحن والبغضاء والتراشق بالألفاظ ثم بالحجارة !! وليت الشباب يتنافسون عن طريق ممارسة الرياضة، بل يتنافسون فقط في مشاهدة الرياضة، وليتهم يتنافسون في أوقات فراغهم، بل تضيع منهم أولوياتهم الواحدة تلو الأخرى !!

لينظر شباب الأمة إلى هذين المثالين الرائعين لشابين في الرابعة عشر والثالثة عشر من عمرهما، ليعلما أن طاقات الشباب أوسع بكثير من تخيلاتهم، وأن أحلام وأهداف الشباب يجب أن تكون على مثل هذا المستوى الراقي في التفكير..

*أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

من أروع أمثلة الشباب في التاريخ ..

وكلنا يحفظ له الموقف الجلل عند توليته على جيش المسلمين الخارج لحرب الرومان، لكن قبل الحديث عن هذا الموقف العظيم نذكر أن هذا ليس أول وجود للبطل الصغير، وليس أول ظهور لإسمه في التاريخ..

فقد اشترك رضي الله عنه في غزوات كثيرة قبل هذه المرة، وكان له وجود ملموس وأثر واضح..

من ذلك مثلاً سرية غالب بن عبد الله رضي الله عنه في السنة السابعة من الهجرة وكان يبلغ من العمر وقتها أربعة عشر عاماً! وأيضاً فتح مكة وحنين وغير ذلك

ولم يكن أسامة بن زيد رضي الله عنهما بالشخصية العابرة في حياة المسلمين، بل لم يكن كذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما شخصية معتبرة جداً، ومؤثرة جداً، ولها قيمتها.. لدرجة أن الصحابة إذا أرادوا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهابوا أن يكلموه، ذهبوا إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وطلبوا منه أن يكلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر الذي يريدون، وذلك مع صغر سنه، فلم يكن يزيد في هذه الشفاعات بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة على خمسة عشر عاماً، ولكن لمكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولرجاحة عقله، وسعة أفقه، كان يُقدم لمثل هذه الأمور..

بل هناك ما هو أهم من ذلك وأعظم..

فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما مشاركاً في غزوة المريسيع في السنة الخامسة من الهجرة، وهي الغزوة التي شهدت الحاد ث المؤسف الأليم: حادث الإفك، وطعن الطاعنون في السيدة الشريفة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها،ولم ينزل الوحي مباشرة، وإنما تأخر شهراً كاملاً، وكان الرسول صلى الله

عليه وسلم في موقف صعب، ولا يدري حقيقة ما يفعل.. لقد ركبته الحيرة من الكلمات التي تشاع هنا وهناك، وتعقد الموقف تماماً، وأراد الرسول الحكيم صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بركة الشورى، فقرر أن يستشير بعض أصحابه في الذي يجب أن يفعله في هذا المأزق الخطير .. فمن استشار؟! تخيلوا أنه أرسل إلى اثنين فقط من أصحابه ليستشيرهم في هذا الموقف المعقد، فكان أحدهما هو أسامة بن زيد رضي الله عنهما، والثاني هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما في ذلك الوقت في الثانية عشرة فقط من عمره!...

قد يظن ظان أن عقل هذا الشاب الصغير جداً قد لا يستوعب أصلاً القصة، ولا يفهم أبعادها أو خلفياتها، فضلاً على أن يدلي برأي فيها .. ولكن سبحان الله .. لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في إمكانيات أسامة بن زيد رضي الله عنهما العقلية ما يؤهله للاستشارة في هذا الأمر الجلل، ومن الذي يستشير؟! إنه سيد الخلق، وأحكم البشر، والمعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم..

هذه- والله- من أعظم مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنهما .. بل هي من أعظم مناقب الشباب بصفة عامة.. فوصول شاب إلى هذه الدرجة الراقية من العقل والفكر يفتح آفاقاً هائلة للشباب ليحسنوا استغلال طاقاتهم المدفونة في أعماقهم، وييسر لهم استيعاب القدرات المهولة التي زرعها فيهم رب العالمين جلت عظمته وقدرته..

ثم كان القرار العجيب الذي أمتعنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، وهو تولية هذا الشاب الصغير أسامة بن زيد رضي الله عنهما - وكان يبلغ آنذاك بالكاد ثمانية عشر عاماً- على قيادة الجيش الإسلامي الضخم المتجه إلى حرب الرومان في الشام..

والقرار عجيب فعلاً، ويحتاج إلى وقفة طويلة، وتدبر عميق..

فأسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يرأس في هذا الجيش مجموعة من الغلمان والصبيان، أو مجموعة من البسطاء الذين ليس لهم في أمور القتال، وإنما يرأس مجموعة من أعظم العمالقة .. وهم عمالقة في كل شيء.. عمالقة في الفروسية ، وفي التخطيط العسكري ، وفي الإيمان ، وفي السبق إلى الإسلام، وفي الخبرة، وفي الصحبة، وفي المكانة..

لابد أن نقف وقفة ونتساءل..

ألم يكن في المدينة المنورة من هو أفضل من أسامة بن زيد رضي الله عنهما لقيادة الجيش؟!

والإجابة واضحة.. فإنه– ولا شك– كان في المدينة رجال كثير على مستوى أعلى وأفضل من أسامة.. كان هناك الكثير من القادة العسكريين أمثال أبي عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة والمثنى بن حارثة وعمرو بن العاص وغيرهم وغيرهم..

فلماذا يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنهما فوق كل هؤلاء ؟.

ولماذا يصر على ولايته رغم تردد بعض الصحابة في قبول فكرة ولاية هذا الشاب الحدث على هذا الجيش الخطير؟!

إن الإشارة واضحة، والهدف جلي..

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يوضح لنا إمكانيات الشباب وطاقاتهم.. فها هو الشاب الصغير الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة يستطيع بجدارة أن يقود هذا الجيش الهائل بمن فيه من القادة والزعماء والأبطال..

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يرسخ فينا أسلوب التوريث للخبرة، والتدريب للجيل الناشئ.. ولو ظل القائد الكبير قائداً طيلة حياته دون أن يسمح بظهور الطاقات الصغيرة إلى جواره فإنما هذا يقود الأمة– لا شك– إلى الهلكة والاضمحلال .. لكن تربية الشباب على القيادة والريادة

والإدارة منذ صغر سنه يعطي الأمة أعماراً فوق عمرها .. ويرسخ أقدامها بين غيرها من الأمم .. إنها ليست حاضراً فقط.. بل هي المستقبل أيضاً..

ولابد أن نأخذ في الاعتبار في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي الذي يرأسه أسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يخرج في مهمة استطلاعية، أو مهمة تدريبية، أو مهمة بسيطة أمر النصر فيها محسوم.. إن هذا الجيش يذهب ليقابل أعتي جيوش الأرض في ذلك الز مان.. إنه جيش الإمبراطورية الرومانية العظمى .. الجيش صاحب التاريخ الطويل، والانتصارات المجيدة .. ولابد أن نلحظ هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ولى أسامة بن زيد رضي الله عنهما لم يكن- بأي حال من الأحوال- يلقي بجيش المسلمين إلى التهلكة، إنما كان يعلم تمام العلم أن هذا الشاب يستطيع بكفاءة أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة، وأصر على ولايته حتى بعد أن أبدى بعض الصحابة اعتراضهم واستغرابهم لولاية هذا الشاب الصغير على هذا الجيش الخطير .. وهذا الإصرار ليزرع المعنى في قلوبنا بوضوح .. وهو المعنى الذي يخفى على عقول كثير من الآباء والمربين والدعاة.. وهو أن إمكانيات الشباب هائلة..

هذا الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي لم يبلغ ثمانية عشر عاماً كان قد استكمل في سنوات عمره المعدودة فنون الفروسية والقتال والقيادة والإدارة والفقه والعلم، بحيث أصبح قادراً على أداء هذه المهمة الخطيرة..

مع العلم يا شباب الأمة أن هذا الشاب العظيم لم يكن يتمتع بما يحلم به كثير من شباب اليوم من وضع اجتماعي معين، أو شكل وسيم، أو لباس فخم أنيق..

لقد كان هذا الشاب رجلاً بسيطاً جداً، وهو ابن لرجل بسيط كذلك ، هو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبوه ممن يباع ويشترى، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فأسامة رضي الله عنه كان من عائلة فقيرة بسيطة ، ولم يكن ابناً لغني من الأغنياء أو وزير

أو أمير.. كما أن أسامة رضي الله عنه لم يكن شاباً وسيماً جميلاً.. بل على العكس تماماً.. إنه لم يكن حسن الصورة ولا جميل الوجه.. وهذا ليثبت للشباب في كل الأمة أن المقومات الحقيقية لنجاح الشاب تكمن أساساً في دين الشاب وفي عقله وعلمه وكفاءته وتدريبه، ولا تكمن أبداً في عرق أو عنصر أو نسب أو مال أو جمال صورة..

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه كلمة هي فخر لكل الشباب المسلم، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ"

ألا ما أعظم الشباب إذا فقهوا دورهم..

وألا ما أعظم الأمة إن أخذ الشباب فيها وضعهم الحقيقي، ومكانتهم التي تتناسب مع طاقاتهم وقدراتهم..

ولنا في أسامة عبرة..

وددت لو ذكرت لكم تفصيلاً عن الشباب في دولة الإسلام.. ولكن هذا حديث يطول جداً.. وليس من غرض هذه الرسالة الحصر والاستقصاء .. ولكن فقط ضرب الأمثلة .. وراجعوا إن أردتم سير الشباب العظماء في أمة الإسلام أمثال مصعب بن عمير وسمرة بن جندب وجعفر بن أبي

طالب وأسعد بن زرارة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبد ا لله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وغيرهم وغيرهم وغيرهم .. رضي الله عنهم جميعاً، وأكثر الله من أمثالهم..

وليس هذا العدد في جيل الصحابة فقط.. بل أيضاً في كل مراحل التاريخ الإسلامي.. وراجعوا إن شئتم شباب الإسلام أمثال أبي إدريس الخولاني ومحمد القاسم والبخاري والنووي وصلاح الدين وقطز ومحمد الفاتح وعبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر وغيرهم..

وأمة الإسلام لا ينضب معينها أبداً..

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين..

لماذا هذا التباين ؟!

لابد أن نقف وقفة جادة ونتساءل بصراحة :

لماذا هذا التباين الرهيب بين ما عليه شباب الأمة الآن، وبين ما ينبغي أن يكونوا عليه ؟

لماذا هذا التباين الرهيب بين إمكانيات الشباب وطاقاتهم، وبين الإنتاج الهزيل الذي يخرج من معظمهم ؟

لماذا هذا التباين الرهيب بين تاريخ الأمة وبين واقعها ؟

من المؤكد أن الخطأ لم ينبع من الشباب وحدهم .. لكن الخطأ خطأ مركب .. لقد حدث اضطراب كبير، وخلل عظيم، في منظومة كاملة أدى إلى هذه النتائج، وقاد إلى هذا التباين..

والأسباب فيما يبدو لي كثيرة، وتحتاج إلى دراسات وأبحاث، وتحتاج أيضاً إلى تفريغ جهود وطاقات للإصلاح، وإلا فالكارثة كبرى، والمصيبة عظمى .. فيالتعاسة أمة ضاع شبابها !.. ومن ثم فإننا نريد ألا نضيع وقتاً طويلاً في تفكير نظري، أو مناقشات فارغة، ولكن نريد بحثاً صادقاً، وحلولاً واقعية، وعملاً دؤوباً مستمراً لتطبيق هذه الحلول..

وهنا اعرض لطرف من الأسباب على عجالة، ويحتاج المخلصون إلى وضع سياسة واضحة لمعالجة هذه الأسباب وغيرها..

السبب الأول

غياب التربية الإسلامية الواعية

وهذا هو أهم الأسباب لهبوط مستوى الشباب عن المستوى اللائق بهم، وإلا فمن زيد بن ثابت ومن أسامة بن زيد ومن معاذ بن عمرو بن الجموح ومن معاذ بن عفراء بغير الإسلام؟!

الإسلام هو الذي صنع هؤلاء الأبطال والعظماء، وهو الذي فجر هذه الطاقات المهولة، وهو الذي وجه هذه الإمكانيات إلى خدمة الأمة، وإلى صالح الأرض..

لقد ظلت الأمة لعقود متتالية في زماننا الذي نعيشه الآن تربى شبابها على عشرات المناهج إلا المنهج الإسلامي.. فافتقدت الأمة بذلك سر نجاحها، وضلت طريقها إلى الهدى والصلاح .. وعاشت الأمة معيشة الضنك والبؤس..

" ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً "..

لم تحرص التربية على زرع قيمة مراقبة الله عز وجل في شباب الأمة، بل دائماً كان الشباب يراقبون المربي والأب والأستاذ والحاكم والشرطي .. فإذا غاب هؤلاء أطلق الشباب العنان لشهواتهم، وبالغوا في أخطائهم، واستخدموا طاقاتهم وإمكانيتهم في هدم ما يستطيعون هدمه من أركان الأمة بدلاً من بنائها..

لقد افتقد الشباب نتيجة هذه التربية الإحساس بالانتماء إلى كتاب الله عز وجل، وإلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدلاً من أن يصبح الدين منهجاً للحياة، تحول الدين إلى مجرد حصة مهملة تدرس فيها بعض القواعد النظرية، وقد تستغل في تدريس بعض الفصول المتأخرة من دروس اللغة العربية أو غيرها..

لقد زُرع في الشباب الانتماء إلى أشياء كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان .. وما عادوا يشعرون بالانتماء الحقيقي إلى أمتهم الإسلامية الشامخة الكبيرة .. فهؤلاء ينتمون إلى قومية عربية فصلتهم عن إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من غير العرب، وهؤلاء ينتمون إلى قومية فرعونية أو بابلية أو فينيقية أو فارسية أو تركية عزلت الأمة تماماً عن دينها، وجعلت فخارها أن تنتمي إلى مجموعة من الملحدين والكفار .. وإلا فخبروني بالله عليكم كيف يتفاعل الشباب مع شخصية مثل شخصية فرعون؟!.. لقد حدث فصام في شخصية شباب المسلمين.. فهو يفتح كتاب الله عز وجل أحياناً ليجد في كل صفحة من صفحاته لعنة على فرعون وجنده وقومه، ثم هو ينظر إلى واقع حياته فيجد تعظيماً وتفخيماً وتكريماً لهذا اللعين الذي صرح ربنا في كتابه بلعنته عشرات ومئات المرات..

من يصدق ومن يتبع ؟!

لقد فُرغت مناهج التعليم والدراسة من مراحل الحضانة وإلى الكليات المتخصصة من معنى الولاء لرب العالمين، والاعتزاز بالدين، والفخار بأركانه، والزهو برموزه .. لقد نزعت آيات الجهاد نزعاً، وحطمت المعاني النبيلة تحطيماً..

هل هناك في مناهجنا الآن من يدعو الشباب إلى الإحساس بقيمة الآخرة، وبأهمية السؤال والحساب يوم القيامة؟ هل هناك من يقول للشباب أتقنوا عملكم، واهتموا بدراستكم لأن الله عز وجل يراقبكم ويجازيكم على عملكم وجهدكم، أم أنهم يقولون لهم ذاكروا جيداً لأن هناك امتحان من ينجح فيه يحصل على عمل في الدنيا، وينال أجراً مادياً أعلى، وفرصته أكبر من أخيه لامتلاك شقة أو سيارة أو وظيفة!..

شتان يا شباب الإسلام بين من يعمل للآخرة وبين من يعمل للدنيا!..

وليس معنى هذا أن نربي الشباب على اعتزال الدنيا، أو على ترك التعليم والاكتساب، إنما الغرض هو تعديل النوايا، وتصحيح المسار .. فتصبح مذاكرته حسنات، وعلومه حسنات، وأخلاقه حسنات، ومعاملاته حسنات، وعمله حسنات، واكتسابه حسنات.. وهكذا..

ما نريده هو أن يشعر الشاب أن الرقيب عليه هو رب العالمين سبحانه وتعالى.. وهو رقيب حي لا يموت، دائم لا ينقطع، عليم لا تخفى عليه خافية .. فيشعر الشاب بالهيبة من مراقبته، وبالأمل في إرضائه.. فينصلح ظاهره وباطنه، وتقوى عزيمته على العمل الدؤوب دون كلل أو ملل..

والتربية الإسلامية الواعية ليست مهمة هيئة معينة أو جهة دون جهة .. إنما هي مهمة أمة بكاملها .. فهي مهمة الحاكم والمحكوم، والوزارة والشعب، والبيت والمدرسة، والجهات الحكومية الرسمية والجهات الخيرية التطوعية.. هي مهمة كل من في قلبه إخلاص لله رب العالمين، وكل من في قلبه حمية لهذه الأمة، ورغبة صادقة في رفعتها وعزتها..

وليس معنى أن هناك من يقصر في مهمته أن يقصر الآخرون كذلك.. فإذا كانت المناهج الدراسية تفرغ عمداً من المعاني الإسلامية، ومن الروح الدينية الواضحة فإن هذا ليس مبرراً للدعاة أو للآباء أو المربين أن يتركوا هذه التربية الإسلامية القويمة .. فعلى كل أب وأم وداعية وشيخ وأستاذ وأخ كبير وجار مخلص أن يزرع معاني مراقبة رب العالمين وحب الدين والاشتياق إلى الجنة والخوف من النار في قلوب الشباب الذين يربون.. مع لفت الأنظار بشدة إلى أن تربية الشباب على هذه المعاني لا ينبغي أن تبدأ من سن المراهقة ، ولكن قبل ذلك بكثير .. من مراحله الأولى تماماً في الحياة .. بل إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نؤذن في أذن الرضيع اليمنى، ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى ، إيذاناً بأن هذا سيكون منهج حياته وتربيته منذ لحظاته الأولى في هذه الحياة .. وتستمر هذه التربية الإسلامية في كل مراحل حياته ، الطفولية منها والشبابية ، حتى يصبح رجلاً أو فتاة تشبع تماماً بالإسلام، ولا يخطو خطوة في حياته– صغيرة كانت أو كبيرة– إلا ويسأل نفسه ألف مرة : أهذا يرضي ربي ، أم هو علي ساخط ؟

وهكذا فإن الآباء والمدرسين والدعاة ليسوا معذورين في تربية شبابهم تربية إسلامية بحجة أن المناهج الرسمية مفرغة من هذا.. أو بحجة أنهم يبنون في سنة ما يهدمه الآخرون في يوم واحد .. ليست هذه أعذار مقبولة لترك تربية الشباب تربية إسلامية واعية .. بل نعلم أنه عمل صعب لكن ليس مستحيلاً.. ونعلم أن الله عز وجل يوفق من أخلص له، ويفتح له أبواب العمل والإصلاح..

كما يجب الإشارة هنا إلى شئ في غاية الأهمية!

وهو أنني لا أعفي الشباب من المسؤولية أبداً!..

فمع كون أن المعوقات كثيرة، والصعوبات متعددة، إلا أن الشاب في النهاية هو الذي سيسُأل يوم القيامة.. ولا يستقيم لشاب عاقل أن يسير في حياته على منهج: "عليّ وعلى أعدائي!!.."

فليس معنى أن الكل يخطئون في حقه أن يكون هذا مبرراً له أن يضيع!..

وليس معنى أن أهل الأرض جميعاً يريدون معصية رب العالمين أن يكون هذا سبباً كافياً له أن يعصي هو الأخر!..

وليس معنى أن من يضعون له مناهج التربية لا يكترثون بقضية الجنة والنار أن تختفي هذه القضية الخطيرة من ذهنه!..

لابد أن يقف الشاب مع نفسه وقفة ويتساءل :

ل ماذا خلقني الله عز وجل ؟

اقرأ السؤال مرة وثانية وثالثة..

لماذا خلقني الله عز وجل ؟

القضية ليست هامشية في حياتك، أو ثانوية في تفكيرك..

القضية قضية عمرك.. وعلى ضوء فقهك لهذه القضية ستكون حياتك وستكون أخرتك..

ملايين الشباب لا يسألون أنفسهم هذا السؤال، ومن ثم يضيعون..

لابد أن هناك غاية للخلق..

" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً، وأنكم إلينا لا ترجعون "

لماذا خلقنا الله عز وجل؟

هل خلقنا الله عز وجل للمتعة والسهر والانبساط ؟

هل خلقنا الله عز وجل لجمع المال وكنز الثروات ؟

هل خلقنا الله عز وجل للصراع والتشاحن والتقاتل ؟

هل خلقنا الله عز وجل لنعصيه ونخالفه ونعارضه ؟

إن هذه الغايات لا تصلح بالمرة لخلق حكيم من خالق حكيم..

إنما خلقنا الله عز وجل لغاية واضحة ذكرها سبحانه وتعالى تصريحاً في كتابه..

قال تعالى:" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "..

بدون تحقيق هذه الغاية تصبح حياتك عبثاً لا قيمة لها..

ولكن ما هو مفهوم العبادة ؟!

العبادة الحقيقية هي تمام الانقياد لله عز وجل مع تمام الحب له..

كمال الخضوع مع كمال الحب..

في أي أمر من أمور الحياة، أو في أي مرحلة من مراحلها..

في العقائد والشعائر والأخلاق والمعاملات .. في الشباب والهرم .. وفي الصحة والمرض .. وفي الحرب والسلم، وفي السفر والحضر.. في كل صغيرة وكبيرة في الحياة..

وليس كما يعتقد كثير من المسلمين، وكما حاول المغرضون أن يفهمونا سنوات طوال أن العبادة هي الصلاة الصوم والزكاة والحج والذكر فقط..

ومن ثم فالمكان الوحيد الذي يصلح للعبادة – في تصويرهم – هو المسجد، وأحياناً في البيت.. أما باقي الحياة فهي لك، تفعل فيها ما تشاء، لا ما يشاء رب العالمين!!..

أهذا منطق مقبول يا شباب أمة الإسلام ؟!

هل خلقنا الله عز وجل لتعطيه من أوقاتنا نصف ساعة يومياً نؤدي فيها الصلوات على عجالة، ونقضي فيها بعض الأذكار، ثم نقضي بقية اليوم في غير ما أراد الله عز وجل ؟

إن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم..

"فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"

سيحاسب كل إنسان على مثقال الذرة..

لن تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وستسأل عنها..

"مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"

إذن كل شئ في الدنيا، وكل لحظة في الحياة سيكون عليها سؤال.. بل أسئلة..

ومن ثم فإني أفهم العبادة الحقيقية لله عز وجل في ضوء قول الله عز وجل:

"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"

أي أن كل شئ في حياتنا هو لله عز وجل، ويظل الإنسان على هذه الصورة إلى أن يصبح الموت في سبيل الله كذلك..

الحياة في سبيل الله.. والموت في سبيل الله..

الصلاة والصيام في سبيل الله .. والعمل والوظيفة في سبيل الله .. والمال والثروة والاكتساب والرزق في سبيل الله .. والعلاقات كلها في سبيل الله .. والمعاملات مع الأبناء والآباء والمعلمين والرؤساء والجيران والرحم ومن أعرف ومن لا أعرف هي في سبيل الله .. حتى الترفيه والراحة والمتعة يكون أيضاً في سبيل الله..

والآيات والأحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى .. لأنها تشمل كل الدين وكل الحياة ..

وهذا المفهوم هو المفهوم الوحيد الذي ينجو به الإنسان، وإلا ضاعت حياته سدى..

ويستوي في هذا الفهم الرجال والنساء والشباب والكبار..

فالكل محاسب يوم القيامة.. والمسؤولية فردية في المقام الأول.. فلن يحاسب إنسان على أعمال الآخرين، ولن يحاسب غيرك على عملك..

يقول تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة"

ولن يأتي واحد معك يوم القيامة يبرر لك أفعالك في طاعة أو معصية..

يقول تعالى: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة"..

فكل دقيقة تضيع من حياتك دون مراقبة لله فيها هي محسوبة عليك أنت لا على غيرك .. ولن يحمل عنك أبوك أو مدرسك أو وزير التعليم أو رئيس البلاد أو القريب أو البعيد شيئاً..

لن يحمل واحد من كل هؤلاء عنك شيئاً..

"وقال الذين كفروا الذين آمنوا اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ، إنهم لكاذبون"..

دعاة الإباحية والمجون والفساد لن يحملوا عن أولئك الذين وقعوا في فساده م، وفتنوا بإباحيتهم ومجونهم.. لن يحملوا عنهم مثقال ذرة .. بل الكل سيحاسب .. فقد أعطاك الله عز وجل عقلاً وإرادة وقوة، ووضح لك طريق الصلاح وطرق الفساد، وبين لك طريق الهدى وطرق الضلال..

قال تعالى: "وهدنياه النجدين"، أي الطريقين: طريق الخير والصلاح، وطريق الشر والفساد..

ثم كلمة هامة يا شباب أمة الإسلام..

إذا انقضت سنوات شبابك وأنت بعيد عن طريق الله، غا رق في المعاصي، لاه في الحياة، ليس لك هدف نبيل ولا طموح عظيم.. ثم هداك الله إلى الطريق القويم بعد انتهاء فترة الشباب .. فمن يعيد لك هذه الفترة الذهبية في حياتك ؟

من يعيد لك ثلث عمرك أو نصف عمرك أو أكثر أو أقل ؟!

لقد مضت سنة الله عز وجل في ا لأرض أن الذي مضى لا يعود، فلماذا لا تستغل كل دقيقة في حياتك، وكل لحظة في وجودك على هذه الأرض ؟!

روى الحاكم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فق رك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"

والحديث رائع.. وهو من جوامع الكلم.. وكلنا يحتاج إلى فقهه وتدبره..

كثيراً ما يعلم الإنسان الحقيقة، ويفقه الهدف الصحيح للحياة .. ولكن في الوقت المتأخر ..

فيفقه الشاب قيمة فترة الشباب بعد أن يكون في الأربعين أو الخمسين من عمره..

ويفقه المريض قيمة الصحة وهو على فراش المرض..

ويفقه الغني قيمة المال بعد أن يكون قد افتقده، وصار فقيراً..

ويفقه الإنسان قيمة الوقت بعد أن تكون قد مرت الساعات والأيام والشهور والسنوات ، وضاعت هباءاً منثوراً..

وأخيراً. وهذا أخطر وأعظم. يفقه الإنسان قي مة الحياة وأهميتها وحكمتها وهو على فراش الموت، أو وهو في قبره يُسأل !!

أخي الشاب وأختي الشابة..

من يعيد لكما شبابكما بعد أن يمر ؟!

ثم أن الموت يأتي بغتة.. والكل يدرك ذلك..

الشيخ الكبير يموت، كما أن الشاب يموت، والمريض يموت، كما أن الصحيح يموت..

ولا يفيد الندم في هذه الحالة.

يا شباب أمة الإسلام..

ضعوا هذا النداء الرباني أمامكم في كل خطوة من خطوات حياتكم:

"استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ، وما لكم من نكير"..



السبب الثاني

غياب القدوة الصالحة

فالشباب في أمة الإسلام يعانون من أمر خطير وهو افتقاد القدوة الصالحة.. وتربية القدوة أعلى آلاف المرات من تربية الخطب والمقالات.. وفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل..

المربي الذي يخالف فعله قوله واهم في اعتقاده أنه يربي.. بل هو يهدم، وإن كانت كلماته هي كلمات البناء..

"كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"..

كيف يمكن للأب أن يأمر أولاده بعدم التدخين مثلاً والسيجارة لا تفارق يده، أو كيف يأمره بحسن معاملة الجار وهو في شجار دائم مع جيرانه، أو بحفظ اللسان وهو يتناول كل قادة السيارات حوله بالشباب والشتائم، أو بالحلم وهو غضبان، أو بالكرم وهو شحيح ؟! كيف ؟!

كيف يمكن للمدرس في المدرسة أن يزرع في تلاميذه الرحمة وهو يستنزف أموالهم في الدروس الخصوصية بينما لا يعطي لدروس المدرسة أو الجامعة حقها ؟.. وكيف يمكن له أن يربي تلامذته على الحرص على المال العام والأمانة في العمل وهو لا ينضبط في دروسه، بل ويترك بعضها، ويهمل في أخرى، وينام في ثالثة، ويلعب في رابعة ؟!

كيف يمكن لحاكم أو شرطي أن يأمر الشباب بعدم العنف وترك الإرهاب بينما هو يتعامل بكل قسوة وعنف وبطش وإرهاب مع عموم الشعب ؟!

كيف يمكن أن تكون هناك تربية بغير قدوة ؟!

لقد افتقد الشباب المسلم إلى القدوة الصالحة في كثير من الأحيان..

ومن هو بديل القدوة عند الشباب الآن ؟!

فليراجع كل منا نفسه، وليراقب قدوة ابنه أو أخيه أو نفسه..

من هو القدوة ؟!

بعض الشباب يتخذ قدوته فناناً ماجناً أقرب إلى النساء منه إلى الرجال..

بعضهم يتخذ قدوته لاعباً أنفق زهرة شبابه في اللعب، وقد يكون هذا اللاعب غير مسلم أصلاً، ويصبح حلم حياة الشاب، وهدف عمره أن يصبح لاعباً مثله، أو حتى يحصل على توقيع من هذا اللاعب القدوة !!

بعض الشباب يتخذ قدوته مليونيراً فاسداً سرق أموال البلاد والعباد، أو مسئولاً مرتشياً تسلق على أكتاف الشعب إلى درجات عالية ما يستحق معشارها..

بعض الشباب يتخذ قدوته زعيماً ماركسياً، أو قائداً ملحداً، أو أديباً فاسقاً..

بعضهم قدوته من الشيوعيين أو النصارى أو اليهود أو الهندوس أو بغير ملة !!

وليس الكثير من أبناء الإسلام الذي يتخذ قدوته رسول الله صلى الله عليه وسلم!.. مع أن الله عز وجل يقول في كتابه بوضوح :

"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً"

وليراجع كل منا الذين يعرفهم من شباب المسلمين.. وليسأل كل واحد من هؤلاء الشباب هذا السؤال صراحة:

من قدوتك ؟!

ادخلوا إلى حرم الجامعة، وخذوا عينة عشوائية من طلاب الجامعة الذي يسيرون في الطرقات، أو يدخلون المحاضرات، أو يجلسون في الكافتيريات، وأسألوهم هذا السؤال المباشر..

من قدوتك ؟!

والله يا ليتنا نقوم بهذا الإحصاء لنعلم مَن مِن شبابنا يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومَن من الشباب يقتدي بالزبير أو طلحة أو سعد أو الأرقم..

ثم مَن من الشباب يقتدي بالفنانين واللاعبين والأدباء والعلمانيين !!

إحصائية هامة ستضع الحقيقة أمام أعيننا..

من الصعب أن تسأل شاباً يسير برفقة فتاة لا يحل له أن يختلط بها ثم يقول لك قدوتي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم!.. ومن الصعب كذلك أن يقول هذه الإجا بة من يمسك بيده سيجارة أو من يلقي بالنكات الماجنة ليضحك هذا وذاك..

فلنراجع قدوة أبنائنا !!

ثم إنني مرة أخرى لا أعفي الشباب من المسئولية !!

فالرسول صلى الله عليه وسلم كقدوة ليس بعيداً عن أيدينا .. والله عز وجل قد حفظ لنا سنته وطريقته ومرهاجه، والله عز وجل قد يسر لنا من الدعاة والمربين من يتحدث عنه، ويصف أفعاله، ويشرح طريقته.. نعم كثيراً ما يُضيق عليهم، ولكنهم – بفضل الله – ما زالوا يتكلمون .. وهذا في كل قطر إسلامي، وفي كل مدينة ، وفي كل شارع، وفي كل مسجد أو جامعة أو نادي أو عمل .. في كل مكان ستجد من يتكلم ويعلم .. لكن المهم في المقام الأول أن يريد الشاب أن يتعلم..

لن تعجز أبداً أن تصل قدوة الرسول صلى الله عليه وسلم..

ولن تعجز أبداً أن تصل إلى قدوة الصحابة رضي الله عنهم أو قدوة الصالحين..

الكتب والأشرطة السمعية وبرامج الكمبيوتر موجودة الآن وبكثرة.. ولئن قلت حلقات العلم إلى حد كبير، فالوصول إلى العلماء ما زال ممكناً.. وأول الغيث قطر.. ثم ينهمر!..

بيت القصيد أن تبدأ في البحث عن قدوة صالحة .. والتاريخ الإسلامي ذاخر بالقدوات الصالحة..

كما أن الواقع الذي نعيشه ليس خ الياً من القدوات.. والرموز الطيبة التي جمعت بين التمسك بالإسلام في العبادات والشعائر وبين الحياة بالإسلام في كل صغيرة وكبيرة موجودة، بل كثيرة بفضل الله.. وليس في بلد واحد، بل في كل بلاد المسلمين، وليس في مجال واحد، بل في كل مجالات الحياة .. في الدعوة والشريعة، وفي الطب والهندسة، وفي الكيمياء والفلك، وفي ال زراعة والصناعة، وفي التجارة والإقتصاد، وفي الكبار والصغار، وفي الرجال والنساء، وفي المتعلمين وغير المتعلمين..

القدوات الصالحة التي عضت على دينها بالنواجذ، وتمسكت بشرع ربها، لن تنعدم أبداً من أمة الإسلام، والخير لا ينقطع أبداً في هذه الأمة، وإلى يوم القيامة، بشرط أن يبحث الشاب عن قدوته في المكان الصحيح، وبالطريقة الصحيحة..

ليس المهم في القدوة هو المنصب والمظه ر والمكانة الاجتماعية والوضع الإ قتصادي والبريق الإعلامي، إنما المهم حقيقة هو الدين والخُلق والعمل والجدية..

وموضوع القدوة هذا ليس موضوعاً جانبياً في حياة الشاب .. بل هو موضوع أساسي ومحوري.. فجميع الأمثلة التي ذكرناها من جيل الصحابة ، أو من جاء بعدهم ، كانوا يتخذون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في حياتهم بوضوح .. فهم يتلمسون أقواله وأخباره وأفعاله ومواقع قدمه وكلامه وصمته وحركاته وسكناته وكل شئ في حياته .. فكان لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قدو ة عامة.. ثم إن كل واحد منهم كان لهم قدوة خاصة في بيته ساعدته على الارتقاء والتقدم والنبوغ .. فأسامة بن زيد مثلاً رباه الصحابي الجليل زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين .. وزيد بن ثابت ربته الصحابية الجليلة النوار بنت مالك رضي الله عنها، ومعاذ بن عمرو بن الجموح رباه الصحابي العظيم عمرو بن الجموح رضي الله عنه، وهكذا نشأ هذا الشباب الصالح في بيئة ساعدته على التقدم والارتقاء.. فكان هذا الإنجاز الراقي الذي قدموه لنا وللبشرية..

فيا شباب الإسلام لا تسيروا دون إرادة ولا تفكير وراء أي قدوة .. فقدوتك لا تحدد فقط مصيرك في دنياك.. بل تؤثر . وبصورة أكبر . على آخرتك، وأسأل الله لنا جميعاً الهداية والرشاد..

السبب الثالث

الإحباط

وهو سبب في غاية الأهمية وراء تردي حالة كثير من شباب الأمة ، وشاعت بينهم كلمة خطيرة وهي "مفيش فايدة !!".. والحق أن الأمل لا يجب أن ينقطع أبداً في الله عز وجل، وفي أنه – سبحانه وتعالى – سيعز هذه الأمة، وسيمكن لها دينها الذي ارتضى لها..

لكن الشباب يعاني من إحباط مقيت يقعد عن أي عمل، ويهبط من أي معنويات، والسبب هو واقع الأمة الإسلامية الذي يراه الشاب أمامه، من انهيار في كافة المجالات، ورضاء من كثير من زعماء الأمة بالسير في ذيل كافة الأمم.. ولم تعد الفجوة التي بيننا وبين غيرنا في مجال معين بذاته .. بل أصبحت في كل المجالات حقيقة..

هناك حالة واضحة جلية من التردي في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعسكرية.. بل وللأسف الشديد.. الأخلاقية !!

اتساع الفجوة بيننا وبين الشرق والغرب يورث الإحباط في قلوب الشباب .. وبالذات أنهم يشاهدون هذه الفجوة تزداد اتساعاً مع مرور الزمان..

كما أن التاريخ الذي زُور قبل ذلك بعناية حرم الشباب من كل أمثلة القيام والنهضة، فما عاد الشاب يجد في تاريخه إلا كل سقوط وفتنة وهزيمة ومصيبة..

وفوق ذلك هناك الإحتلال تلو الإحتلال في بلاد العالم الإسلامي يعمق من مسألة الإحباط ، فلم تعد القضية قضية فلسطين فقط، بل انضمت إلى قائمة البلاد المحتلة والمنهوبة دول عديدة من دول

المسلمين أمثال العراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وكوسفو والتركستان والمغرب والسودان.. ثم إنه ليست البلاد المحررة محررة حقيقة !!

ثم هناك الاستبداد السياسي، والقهر الحكومي في معظم بلاد العالم الإسلامي، وغياب الشورى أو الديموقراطية، وتزييف الإرادات، وتزوير الرغبات، والفساد الإداري والسياسي، والرشوة والوساطة، والعمالة والخيانة..

كل هذه التداعيات المرة خلقت جيلاً محبطاً، ونفسية محطمة..

فأين السبيل ؟!

على كل مربٍ أو داعية، أو أب أو أم أو معلم، أو أي مخلص يريد لهذه الأمة نجاحاً وفلاحاً أن يعلم أن النجاح والفلاح لا يمكن أن يأتي من جيل محبط..

الأمة المحبطة أمة لا تقوم..

هذه حقيقة لا تنكر..

وعلى الشباب كذلك أن يزرعوا في قلوبهم الأمل..

صفة اليأس ليست من صفات المؤمنين مطلقاً..

يقول تعالى: "قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون"

مهما كانت الأحداث، ومهما تعقدت الأمور..

وكلمة إلى شباب أمة الإسلام :.

نصيحة صادقة من قلبي إليكم..

إذا رأيتم النساء يصرخن وينتحبن، ويفقدن أولادهن الواحد تلو الآخر..

إذا رأيتم الأطفال يقتلون صباح مساء..

إذا رأيتم المجاهدين يطاردون ويحاصرون..

إذا رأيتم الديار تهدم، والأراضي تجرف، والمزارع تحرق..

إذا رأيتم الدماء تسيل، والأشلاء تبعثر، والموتى لا يجدون قبوراً..

إذا رأيتم تدميراً وتخريباً وظلماً وإبادة..

إذا رأيتم الصاروخ يقابل بشجب ، والطائرة تحارب بتنديد ، والقنبلة ترد بإدانة ، والبارجة تدفع بإنكار..

إذا رأيتم كل ذلك وغيره..

فلا تحبطوا ولا تقعدوا ولا تفتروا ولا تيأسوا..

فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون..

أحبابي في الله أدركوا حقائق هامة..

أدركوا أن لله سنناً لا تتبدل ولا تتغير..

منها " أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس"..

فكما تعاني أمة الإسلام من القرح اليوم فقد كان هناك زمان عانى فيه الآخرون بينما كانت أمة الإسلام في سلامة وعافية وستأتي أيام أخرى لا محالة تعود فيها الدولة للمسلمين..

أدركوا أن لهذه الأمة طبيعة فريدة تميزها عن غيرها من الأمم .. وهي إنها أمة لا تموت .. نعم قد تضعف فترة من الفترات، لكنها أبداً لا تموت.. فهذه الأمة تحمل الكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه..

من يقيم حجة الله على خلقه إذا ماتت أمة الإسلام ؟

من يشهد على أهل الأرض إذا ذهب أهل الإسلام ؟

لأجل خير الأرض يحفظ الله هذه الأمة..

بقاء أمة الإسلام خير للأرض وذهاب أمة الإسلام فناء الأرض..

أدركوا أن المعركة ليست في حقيقتها بين طائفة من المؤمنين وطائفة من الكافرين .. إنما المعركة في حقيقتها بين الله عز وجل وبين من مرق عن شرعه ودينه من عباده الضعفاء..

"ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"..

وعلى قدر عظمة الله وجلال الله وقدرة الله وجبروت الله قدر المعركة..

"وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون"..

أدركوا حقيقة البشرى في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم..

أدركوا أن الله قد وعد فقال: "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين".. هكذا بهذا السياق المعجز..

وروى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوى لي منها"..

أدركوا أيضاً إننا ما سقطنا في تاريخنا إلا وكان لنا قيام..

سقوطنا في فتنة الردة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من واقعنا الآن ، ثم قمنا في عافية وسلامة، وأعدنا الشرع من جديد ليحكم، بل وكسرنا شوكتي فارس والروم..

سقوطنا في مستنقع الصليبين في الشام وفلسطين كان سقوطاً مريراً .. ثم قمنا من جديد .. فظهر عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، ورأينا راية الإسلام ترفع من جديد..

سقوطنا في الأندلس كان سقوطاً عصيبً. لكنه لم يحدث إلا وقد قمنا في شرق أوروبا تحت راية العثمانيين المجاهدين، نفتح القسطنطينية، وندخل بالإسلام في أعتي معاقل النصرانية..

والله يا شباب الإسلام ما سقطنا إلا وكان لنا قيام..

فلا تيئسوا..

السبب الرابع

الإعلام

ودور الإعلام خطير جداً .. وإذا كانت التربية هي أحد جناحين هامين لتغيير فكر الإنسان، فلإعلام هو الجناح الآخر..

الإعلام يبث رسائل موجهة إلى الأمة عموماً وإلى الشباب خصوصاً تؤثر فيهم أشد التأثير .. وليس ما أقصده هو الإعلام الغربي أو الشرقي أو المعادي فقط، وإنما الإعلام في بلادنا المسلمة..

ويا لكارثة الإعلام في بلادنا !!

هناك كوادر ضخمة، وأموال هائلة تنفق لا لشيء وإنما لتأجيج الشهوة، وإثارة الفتنة، وإفشاء الرذيلة..

فهذا فريق يعمل على نشر الإباحية والمجون، وهدم كل القيم الأخلاقية للمجتمع، حتى أصبحنا نشاهد في التليفزيون من الفقرات الإعلانية والأغاني المصورة "الفيديو كليب" والأفلام السينمائية ما لم نكن نتخيل مطلقاً أنه يعرض على شاشات تليفزيونية تدخل البيوت الآمنة .. ناهيك عن الفضائيات والإنترنت والصحف الصفراء والبيضاء والخضراء !!

وهذا فريق آخر يعمل على السخرية من الإسلام والمسلمين والملتزمين، ويصف المتمسكين بالدين على أنهم من الإرهابيين الأصوليين الذين يسعون في الأرض فساداً، ويبث في كل قلوب المشاهدين الرعب – كل الرعب – من كل مسلم افتخر بأنه مسلم..

وهذا فريق يصور لنا الإسلام على إنه دين سلام فقط، وليس فيه جهاد ولا قتال ولا حمية ولا عزة، ولو انتهكت كل حرمة، ولو سلبت كل الحقوق..

وهذا فريق يزو ر التاريخ الإسلامي ويبرزه على أ نه عبارة عن مجموعة متراكمة من الفتن والكوارث، وأن العا لم ا لإسلامي عا لم لقيط ليس في تاريخه ما يفتخر به، اللهم سنة هنا وسنة هناك .. وإذا أرادوا أن يمدحوا في شخصية إسلامية في جانب طعنوا فيها في جانب آخر، وإذا عظموا قائداً أساءوا إلى عشرة وهكذا..

وهذا فريق يعظم من الغرب، ويفخم من إمكانياته، ويرغب المسلمين في موالاته تحت أي صورة من الصور..

وهذا فريق يُجمل كل فعل لزعيم، وينافق قدر ما يستطيع، وفوق ما يستطيع ، ليظل الوضع كما هو عليه، ويرضي الناس بما لا يمكن في الأمور العادية أن يرضوا به..

وهكذا..

تقرأ وتشاهد وتسمع مجموعات متناسقة من الأخبار والبرامج والفقرات التي تهدف في ال نهاية إلى ضرب الإسلام في أعماق الشباب، وإلى هدم كل رمز جميل، وإلى تأجيج الشهوة، وإلى زرع الإحباط في قلوب المسلمين..

ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

ولكن مع كل هذا الكيد والتدبير إلا أن الشباب . ومن يربي الشباب . يجب ألا يقع في كل هذه الشراك والفخاخ..

فالذي يحدث هذا ليس جديداً على وجه الأرض، فالتاريخ يحمل حملات إعلامية شرسة على الدعاة وعلى الإسلام منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . بل من قبلها . وإلى الآن، ومع ذلك نجح الشباب المؤمن الصادق في مواجهة هذه الحملات، وعدم التأثر بها ، بل والقيام بم ا يسمى بالإعلا م

المضاد، الذي إن كان صادقاً فإن الله عز وجل ييسر له الوقوف في وجه المفسدين ، ولو كانوا أضعاف أضعاف المؤمنين..

إن كل هذه الفتن والمشاهد الإباحية ما هي إلا امتحانات للشباب الصادق .. ليعلم الله من الذي يقع في الفتنة، ويفشل في الاختبار، ومن الذي يقاوم بجدية، وينجح بجدارة..

على الشباب الصادق أن يعتصم بالله عز وجل وبكتابه، ويهجر هذه الوسائل المفسدة، بل ويقاومها، فلا مانع من إرسال الرسائل تلو الرسائل لمكافحة هذه المصادر، ولا مانع من إنشاء المجلات المحلية الصغيرة، والمطويات التي تعرض فكراً سليماً يوضح للشباب الحقيقة دون تزييف أو تضليل .. ولا مانع من استغلال الإنترنت والذي أصبح متاحاً بصورة كبيرة، ويصل إلى قطاعات كبيرة من الشباب.. ثم إنه لا مانع للإقتصاديين الإسلاميين أن يسعوا إلى إنشاء جرائد إسلامية وقنوات فضائية إسلامية لمقاومة هذا المد الإباحي الجارف، ولا اعتقد أن أمة الإسلام تفتقر إلى المال الذي يمكنها من ذلك..

قد يكون هناك وسيلة أو أخرى للمقاومة لكن من المؤكد أن هناك وسائل، ومن المؤكد أيضاً أن الذي يقع في المعصية لن يبرر ذلك يوم القيامة بأن المعصية كانت متاحة وسهلة، ولذلك عصى !!

فهذه يا شباب الأمة أربعة أسباب أدت إلى انهيار مستوى كثير من شباب الأمة، وهي كما رأيتم أسباب مدمرة وفتاكة ، إلا أن يعتصم المسلمون بربهم، فحينئذ لا تؤثر فيهم وسيلة فاسدة، ولا منهج منحرف..

"إن الله يدافع عن الذين آمنوا"

وأسأل الله لشباب الأمة أن يوفقهم إلى كل خير..



نصائح عملية للشباب

أيها الشاب المسلم..

أيتها الشابة المسلمة..

إذا كنتم جادين في الرغبة أن تنجحوا في الدنيا وفي الآخرة ، فلابد أن تتحول هذه الرغبة إلى عزيمة صادقة، ثم إلى عمل دؤوب، ثم إلى مداومة على هذا العمل..

ليس الطريق معبداً لمن سار فيه كسلاناً.. إنما هو يسير على من يسره الله عليه.. والله عز وجل مطلع على القلوب، ويعلم المفسد من المصلح، ويعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور..

إذا أردتم الرفعة لأمتكم، وإذا أردتم لها أن تستعيد مكانتها المرموقة التي طالما احتلتها، وإذا أردتم أن يُرفع الضيم والذل والهوان من على كاهل الأمة فابدءوا من الآن..

لا تسوفوا ولا تؤجلوا ولا تتعللوا بمعوق من المعوقات..

ابدءوا الآن.. وسيفتح الله لكم أبواب رحمته..

وإني ذاكر لكم الآن عشر نصائح سريعة .. وأعلم أن كل واحدة منها تحتاج إلى كتاب خاص، وإلى شرح مفصل، ولكنها مجرد رؤوس أقلام، والمجال أمامكم مفتوح للإبداع والابتكار..

النصيحة الأولى

أقلع عن المعصية فوراً

لعل من أشد الأمور فتكاً بالشباب وبغيرهم من المسلمين الانغماس في المعاصي.

إن المعاصي أخطر على الإنسان من الذئاب المفترسة، فهي تتراكم على القلب حتى تعزله عن كل المؤثرات الإيجابية الخارجية، فإذا استمع إلى نصيحة لا يُصح، وإذا قرأ موعظة لا يتعظ، بل إذا تلا قرآناً لا يخشع، وإذا شاهد موقفاً مؤثراً نظر إليه وكأنه لا يبصر..

وكل هذا من جراء الإغراق في المعاصي.. وهذا مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)"

وترك المعاصي ـ يا شباب الأمة ـ مقدم على فعل فضائل الأعمال.. فالذي يقلع عن المعصية ولا يقرأ القرآن أفضل من الذي يقترف المعاصي ويقرأ القرآن..

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"..

ولا يستقيم أبداً لمن أراد أن ينصر الأمة أن يظل على معصيته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي جنده المقاتلين في سبيل الله بقوله : "لا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله ".. وأشد المعاصي خطورة ما كنت مواظباً عليه، فهذه علامة على فساد النفس، فأسرع بإصلاح فساد النفس، وإلا مرت الأعوام والأعوام، والحال هو الحال أو أسوأ، والطريق هو الطريق أو أضل..

واعلم أيها الشاب وأيتها الشابة أنك بإقلاعك عن المعصية الآن، وعزمك على عدم العودة، وندمك على ما فات، تكون قد فتحت صفحة بيضاء تماماً مع رب العالمين.. فهو يغفر الذنوب جميعاً، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويتقرب من عباده المتقربين إليه..

ثم احرص على ألا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، بل لا تؤجل توبة هذه اللحظة إلى اللحظة التالية، فإن النفس قد يخرج فلا يعود، والروح تعود إلى بارئها في لحظة، والموت لا يتأخر بأي حال، وقد مدح الله عز وجل التائبين بقوله "ثم يتوبون من قريب"، أي أن التوبة تكون قريبة جداً من الذنب، فلا يبقى العبد مصراً على ذنبه مدة طويلة من الزمن..

وأكثر من الدعاء قدر ما تستطيع أن يغفر الله لك الذنوب، ويستر لك العيوب، وهو قريب . سبحانه وتعالى . من عباده، ولا شك أنه سيستجيب، وعلامة ذلك أنك تجد في روحك خفة للعمل الصالح، وإقبالاً على الطاعة، ورغبة في أداء الخير، وخوفاً من عاقبة المعاصي ال سابقة، ورجعة عند سماع التذكير من قرآن وحديث وعلوم..

فإن وجدت في نفسك ذلك فاحمد الله حمداً كثيراً فقد استيقظ قلبك، وسارع بالعمل كي تحافظ على هذه النقاوة والبهاء، وإذا لم تجد ذلك في نفسك ففتش عن معصية ظاهرة أو خفية م ا زلت مصراً عليها وأنت لا تدري.. وقد تكون هذه المعصية في نظر، أو في كلمة غيبة، أو في أغنية لا تحل، أو في عقوق . ولو بسيط . للوالدين، أو في ذرة كبر، أو في لحظة غضب، أو غير ذلك .. واحذر من الذنوب الصغائر، فإنها تتسلل إلى القلب تسللاً، ثم تتكاثر عليه حتى تكون كالجبل، وتذكر أنه ليس هناك كبيرة مع استغفار، كما أنه ليس هناك صغيرة مع إصرار..

وتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام أحمد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"

"إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ"

ومحقرات الذنوب هذه هي الذنوب التي يستصغرها العبد لتفاهتها في نظره، فتتراكم عليه حتى تهلكه، ونسأل الله العافية لنا ولكم ولسائر المسلمين..

النصيحة الثانية

اعرف دينك

فكيف يمكن أن ترتبط بدين لا تعرفه ؟ وكيف يمكن أن تتمسك بسنة أو منهج أو طريقة أن تجهلها؟ وكيف تسير في طريق تفتقر إلمعالمه؟

لقد مرت شهور وسنوات وأنت لا تعرف دينك بالقدر الكافي.. أما حان الوقت أن تقرأ وتتعلم ؟!

دين الإسلام دين عظيم .. بكل معاني الكلمة عظيم .. ولا يحيط بعظمته إنسان، فهو دين محكم، أحكمه رب السموات والأرض .. أبدعه فأحسن إبداعه ، وأكمله فما عاد فيه شئ ناقص، وعده من أعظم النعم على المسلمين..

"اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً"..

ولكي تعرف ما يصلح دينك ودنياك من هذا الدين المتكامل تحتاج أن تصرف وقتاً كافياً، وجهداً مخلصاً لكي تصل إلى ما تريد الوصول إليه..

وعلوم الإسلام لا تنتهي، وإبداعات العلماء فيها لا تكاد تحصى، وتحتاج إلى أن تتعرف على من يأخذ بيدك إلى علوم المعرفة الإسلامية خطوة خطوة، لكي لا تتوه في طرق متشعبة..

ولتبدأ رحلتك مع القرآن وتفسير مبسط له، وكذلك الحديث النبوي الشريف وتفسير مبسط له كذلك.. فهما الأساس الذي ينبني عليه الدين كله..

ثم خض بعد ذلك في سائر العلوم الإسلامية، ولكن بتدرج ودون إسراف، فإن الد ين متين فأوغل فيه برفق .. فلتجعل لك. بمساعدة أحد العلماء. جدولاً واضحاً للدراسة ، يشمل عقيدة وأخلاقاً وفقهاً وسيرة ومعاملات، وغير ذلك من الفروع الهامة..

واهتم اهتماماً خاصاً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي التطبيق العملي الواضح للقرآن الكريم، وهي النموذج الجلي لكل صغيرة وكبيرة في الدين ..

وأيضاً اهتم بدراسة سير الصحابة رضي الله عنهم فهم الذين حملوا إلينا الدين وطبقوه خير تطبيق، وهم الذين اختارهم رب العالمين لصحبة نبيه، ولحمل الرسالة من بعده..

ثم انطلق بعد ذلك في دراسة التاريخ الإسلامي، مع الحرص على أخذه من مصادر غير مشوهة أو مزورة، ولن تفلح في ذلك إلا بالاستعانة بمن له قدم راسخة في دراسة التاريخ ، لأن ما زُور منه أكثر بكثير مما حُفظ لنا سليماً من التزوير !

وهكذا تجد أيها الشاب أنك تحتاج إلى أوقات هائلة، وأعمار مديدة لتحقق هذا الجانب في حياتك، ولذلك لا معنى مطلقاً لأن تضيع من عمرك بضعة دقائق. فضلاً عن الساعات والأيام. أمام شاشات التليفزيون، أو في صالات البلياردو ، أو في المشي في الطرقات والشوارع بلا هدف ، أو في الجلوس على المقاهي والكافيتريات..

تستطيع في كل دقيقة أن تحصل علماً مفيداً، فاحرص على وقتك، وتق دم في طريق العلم بأقصى طاقاتك.. واعلم أن طريق العلم هذا هو طريق من طرق الجنة..

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"



النصيحة الثالثة

ارتبط بالمسجد

والمسجد جزء رئيسي جداً في تكوين الشاب المسلم .. وصلاة الجماعة ليست لمجرد تكثير الحسنات.. بل إن الله عز وجل كثر من حسنات صلاة الجماعة ليدفعك دفعاً إلى المسجد..

فالمسجد حماية للفرد والمجتمع، و الذي يرتبط بالمسجد يحافظ على مستوى ثابت في الإيمان والتقوى.. لذلك يقول الله عز وجل : "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر "، فالمداوم على صلاة المسجد وعلى إعمار المسجد مؤمن بالله واليوم الآخر، ثم هو يعاون إخوانه على الإيمان.. فإذا فتر لحظة أو فتروا هم كان بعضهم عوناً للآ خر.. وفوق ذلك فتركيز المسلم وخشوعه في صلاة المسجد يكون أعلى بكثير من البيت، ومن ثم فالأجر أعلى، والفائدة المتحققة من الصلاة أكبر .. وهكذا ففوائد صلاة المسجد لا يمكن حصرها..

فإذا أضفت إلى ذلك حضور مجالس العلم – إن وجدت – وحضور حلقات تحفيظ القرآن، وحضور الكلمات الخفيفة التي تقال بعد بعض الصلوات ، فإن هذا يجعل لك تواجداً ثابتاً ، وارتباطاً عاطفياً وقلبياً بالمسجد.. وكل هذا يصب في النهاية في بناءك كفرد مسلم صالح..

ولذلك فإن الله عز وجل يكافئ الذي يحافظ على صلاة الجماعة بمكافآت كريمة عظيمة مع أنه يصلي في المسجد نفس الصلاة التي يصليها في البيت، وبنفس الكيفية ولكن في جماعة..

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

"مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ"



النصيحة الرابعة

كن متفوقاً

يعتقد كثير من الشباب أنني إذا طلبت منه أن يكون ملتزماً بالدين، مستمسكاً بالإسلام، فإن هذا معناه أن يعتكف في المسجد، ويداوم على قراءة القرآن والذكر والصلاة، ثم هو يهمل دروسه، ويجعلها في أخر أولوياته ظناً منه أن طريق الجنة هو طريق العلم الشرعي وكفى !!

وهذا - ولا شك - وهم كبير، وخطأ ظاهر!..

التفوق في مجال الدراسة جزء لا يتجزأ من الإسلام..

والدول في العالم تنقسم إلى دول متقدمة ودول متخلفة (أو نامية !) بحكم ارتباطها بالعلم والاختراع.. وليس من المعقول أن الأمة التي يفتتح دستورها بكلمة "إقرأ" هي أمة متخلفة علمياً..

كثيراً ما يؤثر في نفسي سلباً أن أرى شاباً ملتزماً بالدين، قارئاً للقرآن، مصلياً في خشوع، داعياً إلى الله، ثم هو فاشل في دراسته، بالكاد ينجح أو قد يرسب، وهو في ذيل القائمة، بينما يتصدر قائمة الطلاب علمانيون أو منحرفون أو نصارى!..

أهذا فقه للدين ؟!

أهذا فهم للإسلام ؟!

الإسلام على عكس ذلك تماماً..

الإسلام دين يدعو إلى التفوق في كل تخصص، والإتقان في كل عمل..

فإذا أردت – أخي الشاب وأختي الشابة – أن تقوموا بإصلاح حال الأمة ورفعة شأنها، فلابد من الاهتمام بالدراسة والتفوق اهتمام اً يفوق اهتمام الآخرين، وليعلم جميع الشباب أننا لا نريد مجرد أطباء أو مهندسين أو مدرسين أوكيميائيين.. إنما نريد الطبيب العالم، والمهندس المخترع، والمدرس النابغة، والكيميائي الفذ.. وهكذا..

واعلم يقيناً إنك إن حرصت على رفعة أمتك عن طريق تفوقك في دراستك فإن هذه حسنات لا تحصى في ميزانك..

ونسأل الله لشباب المسلمين دوام التفوق والامتياز..

النصيحة الخامسة

صل رحمك

والحق أن الأسر المسلمة تعيش أزمة خطيرة في العقود الأخيرة من عمر الأمة، وهي أزمة تفكك الأسر الكبيرة إلى أسر صغيرة.. وتقطع أوصال كل أسرة إلى عشرات – بل ومئات – الأجزاء..

قد تمر الشهور والسنوات دون أن يسأل أخ عن إخوانه، أو يسأل عم عن أولاد أخيه ، أو شاب عن خاله أو عمه أو أولاد خاله أو أولاد عمه وهكذا..

هذا التقطيع لأوصال الأمة ينذر بكوارث عدة..

المجتمع المهلهل الهش لا يصمد في الأزمات الخطيرة.. سواء الأزمات التي تعصف بالأمة ككل، أو الأزمات التي تعصف بالأفراد كل على حدة ، وأول من يجب أن يقف إلى جوار أصحاب الأزمات هم الذين يرتبطون بهم ارتباطاً فطرياً برباط الدم والنسب .. فإن وصل الحال إلى أن هذا الرباط مقطوع، فلا شك أن غيره من أنواع الاتصال أيضاً مقطوع، فستجد الجار يقطع جاره، والصديق في العمل يقطع صديقه، والمسلم في بلد يقطع أخاه في البلد المجاور.. وهكذا..

لذلك يعظم ربنا سبحانه وتعالى جداً من صلة الرحم، ويربطها بصلته هو سبحانه..

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

"إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ، فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"

وإذا كان الكبار قد ألفوا الفرقة، والقطيعة من الأرحام، فدور الشباب الصادق أن يبدأ دورة جديدة من الاتصال، فيحرص كل شاب على ربط أسرته وصلتها وإصلاح المشاكل التي بين الأفراد قدر المستطاع، فتتماسك الأسرة الكبيرة ، وبالتالي يتماسك المجتمع بأسره..

وكلمة هامة جداً في أذن الشباب..

مهما كبرت فإنه لا يجوز لك أن تكبر على أبويك !!

بعض الشباب يرى نفسه قد كبر في الحجم ، وتقدم في الدراسة ، فيعتقد أنه أصبح نداً لأبيه وأمه!.. وما أدرك أنه من المستحيل أن يكون نداً لمن ولدته ومن رباه..

وليس المجال يسمح بذكر فوائد بر الوالدين، لكن يكفي هنا أن نذكر أن الله عز وجل ربط طاعة الوالدين بعبادته هو سبحانه وتعالى، ثم أمر بعدم مخالفتهما ولا إغضابهما ولو بكلمة واحدة حتى إن كانا كافر ين، إلا أن يأمرا بالشرك بالله، فهنا لا تجب الطاعة، ولكن يجب مع ذلك البر بهما، والإحسان إليهما !!

يقول تعالى:

"وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ، أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ

عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "

وقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الجنة برضا الوالدين في أكثر من حديث، منها على سبيل المثال ما رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ، قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ"

النصيحة السادسة

اختر أصحابك

مهما تقدمت في طريق الإيمان فإن صحبة السوء تعيدك إلى نقطة البداية أو أسفل منه ا.. ولا تقل إنني أحافظ على نفسي، ولا أصاب بعدواهم.. فإن أخلاق المرء ودينه وطبعه يكون كأخلاق ودين وطبع من يصاحب..

ذكر هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"

فإذا أردت طريقاً واضحاً للجنة فعليك بالصحبة الصالحة..

روى أحمد عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ"

وإذا أردت انتصاراً على الشيطان، فلا يصلح أن تحاربه بمفردك!..

روى أحمد عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ"

أمر حتمي لمن أراد رفعة الأمة أن يندمج في صحبة صالحة.. صحبة تذكرك بالخير في كل لحظة.. إذا فاتك ميعاد صلاة ذكروك، وإذا سهوت عن وردك القرآني نبهوك، وإذا أردت معاونة على مذاكرة وتحصيل دروس ساعدوك، وإذا كنت في أزمة وقفوا معك .. همهم الإسلام، ودليلهم القرآن.. طابعهم الرحمة والرفق والحلم والأناة .. تفكيرهم عميق، وأسلوبهم رقيق .. يهتمون بأمر المسلمين، ويقضون حوائج الناس، ويدعون إلى الله على بصيرة .. يبرون والديهم، ويصلون رحمهم ويرحمون صغيرهم، ويوقرون كبيرهم، ويتقنون أعمالهم، ويتفوقون في دراستهم..

هؤلاء الذين ينجو المرء بصحبتهم، ويفلح برفقتهم..

أتحسبهم في عالم الخيال والأحلام ؟!

كلا والله !!

إنهم موجودون .. والخير في أمة الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة .. ولكن الشاب الذي غرق في صحبة السوء طُمس على عينه، فما عاد يرى إلا كل قبيح، ولو رفع غشاوة صحبة السوء لرأى أهل الصلاح والفلاح.. ولنجا ونجوا معه..

وأسأل الله عز وجل أن يربط على قلوب المسلمين ويوحد صفهم..

النصيحة السابعة

اعرف واقعك

بعض الشباب الذي التزم بدين الإسلام ينشغل بالعلوم الشرعية وبالعلوم الدراسية عن متابعة واقعه، فيعيش في جزيرة منعزلة في وسط بحر هائج متلاطم الأمواج.. ويستحيل – يا شباب الأمة – أن تغيروا من حال الأمة إلا إذا كنتم على دراية وافية بالواقع الذي تعيشون فيه.. ولا أقصد بالواقع هو حال المدرسة أو الجامعة التي تدرس فيها فقط، ولا حال الدولة التي تعيش بداخلها فقط .. بل أقصد حال الواقع الإسلامي بكامله، بل حال العالم بأسره..

لا يستقيم لإنسان يهدف إلى التغيير أن يهمل معرفة المتغيرات التي تمر بأمته، والظروف البيئية في المجتمعات المحيطة بها.. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربط المسلمين بالأحداث الجارية في الأرض حتى في زمان الاستضعاف .. فكان يحدثهم عن كسرى وعن قيصر، وعن دولة فارس ومدائنها وطريقة حكمها، وعن دولة الرومان وقصورها ومنهج القياصرة هناك، ويحدثهم عن اليمن، ويحدثهم عن الحبشة، ويحدثهم عن مصر، ويحدثهم عن البحرين..

وهكذا.. ينظر المسلم نظرة شمولية للأرض من حوله فيعرف موقعه وموقع الآخرين، ويعرف متطلبات المرحلة التي يعيش فيها..

وعلى هذا فإنه يجب على الشاب الواعي الفاهم الناضج أن يتابع أخبار الدنيا من حوله بصفة دورية ومنتظمة، فيقرأ الجرائد المتنوعة، ويطلع على أمور السياسة والاقتصاد والإ جتماع، والمتغيرات

الأساسية في الزمن الذي يعيش فيه، ويتابع قنوات الأخبار العالمية، ويعرف الرأي والرأي الأ خر، ويناقش ويحلل ويسأل ويستنتج.. وبهذا يصبح الشاب ملماً بواقع حياته، كما أصبح ملماً بواقع دينه..

وهذه الشخصية المتكاملة هي الشخصية التي تبني علي أكتافها الأمم..



النصيحة الثامنة

كن رياضياً

من أهم صفات الشاب قوة الجسد، وسلامة الصحة، ومتانة البنيان، والأمة تحتاج إلى الجسد السليم كما تحتاج إلى العقل السليم تماماً بتمام..

والجهاد لا يكون إلا بجسد قوى، وضربة معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما لا تأتي إلا من ذراع رياضي..

ولكن عليك أخي الشاب بالرياضة المفيدة، وهي الرياضة التي تعود عليك وعلى أمتك بالنفع والتقدم.. وذلك مثل السباحة والرماية وألعاب الدفاع عن النفس بأنواعها وألعاب القوى ورفع الأثقال والفروسية وغير ذلك من الألعاب المفيدة للجسم وللعقل وللمجتمع..

ويا ليت الشباب يتخصصون في رياضة معينة لكي يظهر فيها الإبداع.. وما أجمل أن تصل إلى مستوى متفوق في رياضتك بدلاً من إنفاق كل شهر في لعبة مختلفة..

ثم عليك بتقليل الكم الذي تقرأه عن الرياضة، وكذلك تقليل كم المباريات التي تشاهدها..

فنحن للأسف نحترف القراءة والمشاهدة للرياضة ولكن لا نمارس!.. وهذا قصور شديد.. فبينما تكون الرياضة مفيدة جداً في ممارستها، تصبح غير مفيدة – بل مضرة جداً – إذا أنفقت فيها وقتاً طويلاً لمتابعة التحليل الكروي لخطة فريق كذا أوكذا، أو لمتابعة أسعار اللاعبين والمفاوضات حول فلان أو

علان، أو نتائج الدوري في أسبانيا أو إيطاليا ، أو غير ذلك من الأمور التافهة التي لا ينبني عليها كثير عمل، ولا حتى قليل عمل !!

وتذكر أن الرياضة وسيلة وليست غاية، ولذلك لا تنفق فيها وقتاً كبيراً جداً، فإن يومك فيه الكثير من الأعمال الأخرى الهامة، والتي تحتاج منك إلى وقت وفكر ومجهود..



النصيحة التاسعة

ادع غيرك

إذا أحسست بحلاوة هذا الدين، ومتعة الالتزام به، ولذة الطاعة لرب العالمين، وإذا شعرت بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق الشباب لإصلاح حال الأمة الإسلامية، بل لهداية الأرض بكاملها، وإذا شعرت بمدى المأساة التي ما زال يعيشها آخرون ببعدهم عن دين الله، وبهجرهم لكتاب الله..

إذا شعرت بكل ذلك فلا تنس أصحابك الذين كانوا معك قبل أن تشرف بسلوك هذا الطريق، فادعهم إلى ما أنت عليه..

وراجع معارفك وأحبابك..

إن لك أصحاباً في المدرسة أو الجامعة أو العمل، ولك أصحاباً في السكن، ولك أصحاباً في النادي، ولك أصحاباً في الشارع، ولك أصحاباً على الإنترنت، ولك أصحاباً سافروا، ولك أصحاب مكثوا في بلدك، ولك أصحاب تخرجوا من كليتك وذهب كل منهم إلى مكان..

راجع كل هؤلاء وابدأ في دعوتهم إلى الخير الذي أنت عليه..

قل كلمة طيبة .. اهدهم شريطاً إسلامياً أو كتيباً، أرسل إليهم بريداً إلكترونياً .. تحدث معهم تليفونياً.. أصحبهم إلى دروس علم .. دلهم على برنامج ديني طيب.. اشترك لهم في دورية صحيفة إسلامية..

افعل شيئاً.. أي شئ.. فهذا حق الأخوة وحق الصداقة وحق الإسلام..

ادعهم إلى الحياة الجادة التي عرفتها..

وتخيل أنك تحصل من الأجر على كل عمل خير يعملونه مثلما يحصلون هم تماماً !!.. لأنك أنت الذي أرشدتهم لهذا الخير..

روى أحمد عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ"

ولذلك يقول الله تعالى:

"ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاًن وقال إنني من المسلمين"



النصيحة العاشرة

نظم وقتك

واعلم أنها نصيحة . وإن كانت في ظاهرها بسيطة . لكنها صعبة، وكثير من الشباب يعاني من هذه المشكلة تماماً.. ويشعر أن اليوم لا يكفي لشيء.. بينما الله عز وجل قد أعطاك وقتاً يكفي لكل ما طلب منك بشرط أن يُنظم..

لابد أن تضع خطة محكمة لتنفيذ كل هذا الخير الذي تحدثنا عنه وغيره إن شاء الله، فللمسجد وقت، وللمذاكرة وقت، وللقراءة في الدين وقت، وللقراءة الحرة وقت، ولصلة الرحم وقت، وللترفيه الحلال وقت.. وهكذا..

ولابد أن تعرف ماذا تريد أن تفعل في كل يوم، وماذا تريد أن تفعل غداً، وماذا تريد أن تفعل في الأيام والشهور والسنوات القادمة..

حدد الهدف، ورتب الأولويات، وضع برنامجاً زمنياً، وابدأ في التنفيذ دون تسويف..

واجعل هناك أوقاتاً للتقييم والمتابعة، وعدل في جدولك ونظامك حسب الحاجة..

واستشر من سبقوك في طريق الحياة الجادة من متخصصين في الدعوة وفي العمل وفي مجال التخصص العملي وغير ذلك.. وابدأ من حيث انتهى الآخرون، ولا تستحي أن تسأل، فإن شفاء العي السؤال..

ولا تحبطن إذا فشل جدول أعمالك، ونظام وقتك .. فلابد لكل إنسان أن ينجح مرة ويفشل مرة، ولكن استفد من أخطائك، وابدأ من جديد، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم..

وتذكر أن رأس مالك الحقيقي في هذه الحياة هو عمرك، ويوشك إذا ذهب بعض عمرك أن يذهب الكل، فكن على حذر، فالذي يذهب لا يعود إلى يوم القيامة..

واستعن بالله ولا تعجز.. وتذكر أنك طرقت باب الرحمن ليساعدك فلن يخذلك أبداً، بل سيفتح لك أبواب الخير والرحمة، ويدلك على سبل السلام، ويهديك إلى الرشاد والفلاح..

"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين"..

كلمة أخيرة

أنا على يقين أن كثيراً من الشيوخ كانوا يريدون سماع هذه الكلمات والنصائح في أيام شبابهم ليعملوا بها، ولكن فات الوقت، ومر شبابهم، أما أنت فقد سمعته الآن، فاعمل به قبل أن يأتي يوم تتمنى فيه رجعة الأيام.. ومحال أن تعود الأيام..

لقد أعطاك الله عز وجل نعماً كثيرة لم تعط لغيرك .. فقد أعطاك قوة في جسدك، ونضوجاً في عقلك، وحماسة في عزيمتك، ورقة في قلبك، وجمالاً في صورتك..

لقد هيأك الله لتغير الحال الذي حولك من سيئ إلى حسن، ومن خبيث إلى طيب، ومن ضعيف إلى قوي..

هيأك الله لذلك فلا تتغير أنت بمن حولك، وتدعي أن الظروف التي حولك صعبة، أو أن البيئة معوقة..

لقد خلقك الله عز وجل لتغير البيئة لا لتتغير بها..

خلقك لتعديل مناهج الأرض بمنهجك، لا ليعدل الآخرون من مسارك..

خلقك الله لرحمة الأرض، ولخير الأرض، ولصلاح الأرض، ولإعمار الأرض..

فلا تنشغل بسفاسف الأمور، وتوافهالأحداث..

وكن علماً مرفوعاً دائماً في عزة.. يهتدي به الحيارى، ويجد به التائهون في الحياة طريق النجاة..

وإذا حزبك أمر، أو شعرت بالضعف وقلة الحيلة، فإن حسبك الله، هو الذ ي أيدك بنصره وبالمؤمنين.. فعليك بالالتزام بنهج الله، وبصحبة المؤمنين..

سر على بركة الله وعينك على الجنة.. وإذا هداك الله إلى الطريق فلا تنساني من دعوة بالغيب في جوف الليل، لعل الله أن يرحمني بها..

فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..